كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

✍ الانسجام النصي في قصيدة

{ في تيه الحياة} لمحمد قرنه المتوفى{١٩٧٩م }

✍ إعداد الدكتور

أحمد عبد اللطيف أحمد عبد الرازق

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا

(العدد الأربعون)
(الإصدار الأول ـ الجزء الرابع)
(١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)

{الانسجام النصي في قصيدة{ في تيه الحياة} لمحمد قرنه المتوفى{١٩٧٩م}

أحمد عبداللطيف أحمد عبدالرازق.
قسم الأدب والنقد – كلية اللغة العربية بجرجا – جامعة الأزهر– مصر.
البريد الإلكتروني: AhmedAbdElRazek441.el@edu.eg.azhar

الملخص:

النص في طبيعته بنية متماسكة ذات نسق داخلي تربط بين عناصره علاقات منطقية ونحوية ودلالية، توفر له نوعًا من الثبات يجعل دراسته دراسة علمية أمرًا ممكنًا، بل محلًا لاهتمام الكثير من الدارسين والنقاد، الذين وضعوا لتماسكه، وترابطه معايير عديدة، وهذه الدراسة تتناول أحد معاييره، وهو معيار الانسجام، وذلك بسبب ما يحدثه من تلاؤم بين الجمل والكلمات ، والألفاظ والعبارات، ومن ثم جاءت الدراسة تحت عنوان (**الانسجام النصي في قصيدة{ في تيه الحياة} لمحمد قرنه المتوفى{١٩٧٩م }**) ذلك الشاعر الذي عرف بصدق حسه، وسلامة فطرته، وحبه لوطنه، ولكن أُهدر حقه بسبب إهمال الباحثين له إلا في القليل النادر، ومن ثم قصدت هذه الدراسة إلى إماطة اللثام عن هذا الشاعر بما له من نتاج شعري، يعد امتدادًا طبيعيًا للتراث الشعري العربي، وسجلًا تاريخيًا لأحداث عصره، وصورة لبيئته قد لا توجد مدونة إلا في شعره، وذلك مع العناية ببيان أن النص ليس مجرد مجموعة من الكلمات ملتصقة بدون ترتيب أو تنظيم، بل لا بد له من تحقيق مجموعة من الخصائص والشروط المختلفة في طبيعتها ووظائفها ومعانيها، وذلك باكتشاف أهمية الانسجام في النص الشعري وما يحتوى عليه من

حبكة وتماسك؛ مما جعل النقاد يهتمون به بتوفير آليات له أو أدوات تساعد على الربط بين الجمل حتى تكون نصًا ، وإظهار مدى الانسجام النصي وآلياته عند الشاعر في قصيدته عمل لم يقم به أحد من الباحثين- فيما أعلم- حيث لم أقف على أي عمل اهتم بالانسجام عند محمد قرنه، وإثبات ذلك في شعره ، والذى اتسم بمجموعة من الخصائص والشروط التي ميزت النص عن اللا نص ، مقرونة بقوة في الأسلوب واللغة، وبراعة الصور الملائمة للأفكار، والتي تجلت في الموسيقا العذبة ، والتناغم الصوتي

الكلمات المفتاحية: الانسجام النصي، القصيدة، محمد قرنه، آلياته، في تيه الحياة، الألفاظ، الصور الفنية، الموسيقا.

(The textual harmony in a poem of * In the labyrinth of life * by Muhammad Qurna *died in 1979*)

Ahmed Abdel-latif Ahmed Abdel-razik .

Department Literature and criticism, Faculty Arabic Language, Al Azhar University, Girga, Egypt.

Email:Ahmedabdelrazek441.el.@azhar.edu.eg

Abstract:

The text, in its nature, is a coherent structure with an internal system to link its elements with logical, grammatical and semantic relationships that provide to it a kind of consistency that makes its study a possible scientific study: indeed, it is a subject of interest to many scholars and critics, who have set to its coherence and its interconnectedness many criteria, and this study deals with one of its criteria it is the criterion of harmony, due to the harmony it makes between sentences and words, words and phrases, so this study came under the title (The textual harmony in a poem of * In the labyrinth of life * by Muhammad Qurna *died in 1979*) This poet, who knew by his sincerity sense and the integrity of his nature , and his love for his homeland, but his right was wasted due to the negligence of researchers to him

except in a rare few, so this study intended to unveil this poet with his poetic output, which is a natural extension of the Arab poetic heritage, and a historical record of the events of his time, and his picture of his environment may not exist except in his poetry, taking care to show that the text is not just a group of words attached together without arrangement or organization, but rather it must fulfill a set of characteristics and conditions that are different in nature, functions and meanings, by discovering the importance of harmony in the poetic text and what it contains of plot and coherence, which made critics care about by providing mechanisms for it or tools that help link sentences so that they become a text, with showing the extent of textual harmony and its mechanisms with the poet in his poem as a work that none of the researchers did - as far as I know - I did not find any work as interested in harmony as Muhammad Qurna, and proof of that in his poetry, which was characterized by a set of characteristics and conditions that distinguished the text from the non-text, coupled with strong style and language, and appropriate images of ideas, which were manifested in the sweet music, and phonological harmony.

Keywords: Textual harmony, The poem, Muhammad Qarnah, His mechanisms, In the labyrinth of life, Words, Artistic images, Music, Cohesion, The poet

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

✍ مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد -ﷺ- وعلى آله وصحبه وسلم ...

وبعد :

لا شك أن النص هو الوجه الحقيقي الذي تنعكس عليه الملامح الأسلوبية الخاصة بالكاتب: لغته وأسلوبه وبلاغته .... فهو مثل الطاقة لا تفنى ولا تتبدّد ولا تخلق من عدم، ولعل هذا ما جعله محلَّ اهتمام الكثيرين من الدارسين والنقاد، حتى أنه قيل : «إن النص بنية متماسكة ذات نسق داخلي تربط بين عناصره علاقات منطقية ونحوية ودلالية، وهو ما وفر لهذه البنية نوعًا من الثبات مما يجعل دراستها دراسة علمية أمرًا ممكنًا »[١] ، وازداد اهتمامهم بالنص مما جعلهم يضعون لتماسكه وترابطه معايير عديدة، وهذا البحث يتناول أحد معاييره، وهو معيار «الانسجام» بسبب ما يحدثه في الكلام من تلاؤم بين كلماته وجمله، وعذوبة في الألفاظ الخالية من التعقيد والتنافر، وتطبيقه على قصيدة « في تيه الحياة » للشاعر (محمد قرنه) الذي عرف بصدق حسه، وسلامة فطرته، وحبه لوطنه... ولكن أُهدر حقه بسبب إهمال الباحثين إلا في القليل النادر [٢]، وهذا ما دفعني

(١) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه – محمد الأخضر الصبيحي ص ١٠ ، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف .

(٢) ينظر: الدراسات السابقة في المقدمة.

للكتابة في شعره بعنوان: { الانسجام النصي في قصيدة « في تيه الحياة» لمحمد قرنه المُتوفَى ١٩٧٩م }، وأهدف من الدراسة إلى:

١ – إماطة اللثام عن شاعر له نتاج شعري، ويعد شعره امتدادًا طبيعيًا للتراث الشعري العربي، وسجلًا تاريخيًا لأحداث عصره، وصورة لبيئته، قد لا تجدها مدونة إلا في شعره.

٢ – بيان أن النص ليس مجرد مجموعة من الكلمات ملتصقة بدون ترتيب أو تنظيم، بل لا بد له من تحقق مجموعة من الخصائص والشروط المختلفة في طبيعتها ووظائفها ومعانيها .

٣ – اكتشاف أهمية الانسجام في النص الشعري وما يحتوى عليه من حبكة وتماسك؛ مما جعل النقاد يهتمون به بتوفير آليات له أو أدوات تساعد على الربط بين الجمل حتى تكون نصًا .

٤ – إظهار مدى الانسجام النصي وآلياته عند الشاعر في قصيدة معينة عمل لم يقم به أحد من الباحثين– فيما أعلم– حيث لم أقف على أي عمل اهتم بالانسجام عند محمد قرنه، وإثبات ذلك في شعره، وكما وجدت المفارقة وجد الانسجام أيضًا .

أما عن منهج البحث، فقد كان المنهج التحليلي الفني هو الأساس، واستعنت ببعض المناهج الأخرى في بعض الأمور.....

الدراسات السابقة :

فيما – أعلم– بحث بعنوان: « المفارقة في شعر محمد قرنه ديوان « في تيه الحياة » أنموذجًا » دراسة فنية تحليلية د / محمد عمر أبو ضيف محمد – مجلة البيان – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا.

هذا، وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تأتي في مقدمة، وتمهيد ، وأربعة مطالب، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع على النحو التالي :

✍ **المقدمة** : فيها أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره، ومنهجه، وخطة الدراسة .

✍ **التمهيد** : ينقسم إلى شقين :

أ – مدخل عن الانسجام النصي .

ب – الشاعر في سطور، ثم القصيدة .

✍ **المطلب الأول** : الانسجام وآلياته في القصيدة .

✍ **المطلب الثاني**: انسجام الألفاظ في القصيدة .

✍ **المطلب الثالث**: انسجام الصورة الفنية في القصيدة .

✍ **المطلب الرابع**: انسجام الموسيقا « الخارجية والداخلية » في القصيدة .

✍ **الخاتمة** : وفيها أهم النتاج التي أسفرت عنها الدراسة، ثم التوصيات .

✍ التمهيد

الشق الأول : مدخل عن الانسجام(١) النصي :

لاشك أن النص الشعري عبارة عن فكرة متكاملة متماسكة متلاحمة الفقرات، تظهر في بنية متسقة، تقوم على نظام داخلي متين، يربط أجزاء النص بمقاطعه، فقد أخذت هذه الجزئية حيزًا كبيرًا من اهتمام النقاد والدارسين، ومن ذلك قول أحدهم : «فالنص ما هو إلا مجموعة فقرات متتالية ، وقد تبين أن هذه الفقرات متماسكة داخليًا بقوانين النحو، والنص في الوقت ذاته مترابط على مستوى الفقرات خارجيًا، فقد أجمع العرب (نحاة وغير نحاة) بحسهم اللغوي على ذلك »(٢).

وقيل :إن النص« بنية مركبة متماسكة ذات وحدة كلية شاملة، يستلزم وصفها تعقب تلك العلامات الممتدة أفقيًا، والبحث عن وسائل الرّبط النحوي بينها»(٣).

---

(١) الانسجام: هو أن يكون الكلام في مفرداته وجمله منسابًا انسِياب الماء في مجاريه السَّهْلة، مُتَحَدِرًا ليّنًا، بسبب التلاؤم بين كلماته، وجملِه، وعذوبة ألفاظه، وجَمَال تموُّجَاتِ فقَراته، وخلوّه من التعقيد والتنافر، وخلوّه من كل ما يَنِدُّ عن النطْق، وينفر منه السمع، ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها، وفنونها عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)ج٢ص٥١٨ دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

(٢) نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى : د / عمر أبو خرمة ، ص ٢٠١ عالم الكتب الحديث – أربد الأردن ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٣) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقات بين الدلالة : سعيد بحيري ، ص ٧٨ ، مكتبة زهراء الشرق ١٩٩٩م .

كما وصف بأنه: «كيان عضوي يحدّده انسجام نوعي ناتج عن علاقة التناسب القائمة بين أجزائه، ذلك أن النص إنما هو موجود تعالجه معالجة الموجودات الأخرى، وهو موجود تركيبي، بمعنى أنه جملة من العلاقات المكتفية بذاتها حتى لتكاد تكون مغلقة »[١].

ومن خلال ذلك يتبين لنا أن النص الأدبي يرتكز في بنائه على مجموعة من العلاقات الدلالية تتجلى بين متوالية وتلاحم في بناء منطقي محكم، سواء أكان ذلك على مستوى البنية السطحية أم البنية العميقة [٢].

وحتى يستحق اسم « نص » لا بد له من تحقيق مجموعة من الخصائص أو الشروط التي تميز النص عن اللا نص ، وهي تنقسم إلى معايير مرتبطة بالنص في ذاته « الاتساق والانسجام » ومعايير مرتبطة بالمؤلف والمتلقي « القصدية والإعلامية والتقبلية » ومعايير مرتبطة بالسياق الخارجي «الموقفية والتناص»[٣] .

وفي قصيدة الشاعر محمد قرنه سنحاول إضاءة بعض الجوانب الخاصة بمعيار الانسجام .

(١) النقد والحداثة : عبد السلام المسدّي ، ص ٥١ ، بيروت ، دار الطليعة سنة ١٩٨٣م .

(٢) ينظر: النص الشعري وآليات القراءة : د/ فوزي عيسى ، ص٨ ، دار المعرفة الجامعية ، سنة ٢٠٠٦م .

(٣) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : أحمد عفيفي ، ص ٧٦ ، مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠١م ؛ وينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : د / سعيد حسن بحيري ، ص ٢٤٦ ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، لونجمان ، ط أولى سنة ١٩٩٧م .

ب- الشق الثاني : الشاعر في سطور، ثم القصيدة:

في صعيد مصر ولد الشاعر محمد محمد علي قرنه، وشهرته محمد قرنه، في قرية شطورة من أعمال محافظة سوهاج في السابع عشر من شهر يونيه عام ١٩١٧م، ثم اكتسب سلوكه من بيئته المتدينة والمشهور لها بالصلاح والأمانة والخلق، وبعد أن أتم دراسته بالتعليم الابتدائي تلقى تعليمه التكميلي في أسيوط ، ثم رحل إلى القاهرة لينهل من موارد العلم والمعرفة، فالتحق بمدرسة دار العلوم ، وتخرج فيها عام ١٩٣٩م، وعمل بحقل التربية والتعليم، وتدرج في المناصب حتى كان آخر منصب تقلده هو مديرًا عامًا للتعليم الابتدائي بوزارة التربية والتعليم، وهو متزوج، وله بنون وبنات، ولقد قلب له الزمن ظهر المجن، وهبت رياح السياسة العاصفة في حقبة، كان يقول الرجل فيها لأخيه «انج سعد فقد هلك سعيد »، فدخل السجن جزاء فكره وثقافته، ومكث في السجن بضع سنين، من عام تسع وخمسين إلى سنة إحدى وستين وتسعمائة وألف ، حيث اعتقل في ١٩٥٩/٣/٢٨م وعاد إلى عمله بالوزارة في السادس من يناير سنة أربع وستين وتسعمائة وألف، وذلك بعد عمله بالتعليم الثانوي الحربي بأسيوط في الحقبة من سنة اثنتين إلى أربع وستين (١٩٦٢ –١٩٦٤م)، وبعد خروجه من السجن عكف بجانب عمله على القراءة والتأليف مخلفًا بذلك أثرًا علميًا وتراثًا أدبيًا [١] .

جوائزه :

ذاع صيت الشاعر في الأوساط العلمية والأدبية، فقد فاز بجائزة وزارة التربية والتعليم للتعليم المسرحي عام ثمانية وخمسين وتسعمائة وألف، كما مثل

(١) ينظر: الديوان « في تيه الحياة » للشاعر محمد قرنه ، ص ١٣ – ١٤ ، جمع ودراسة د/ علي الخطيب ، دار التضامن سنة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٥م .

شعراء أسيوط في مؤتمر الشعراء العرب بالإسكندرية عام ثلاث وستين وتسعمائة وألف، وحضر الشاعر مهرجان الشعر الخامس في الإسكندرية سنة خمس وستين وتسعمائة وألف كأحسن شاعر في أسيوط [١].

آثاره :

للشاعر محمد قرنه آثار علمية وأدبية، يتيه بها الزمان فخرًا، وتعد علامة بارزة في حياته، وما حفلت به من جليل الأعمال وعظيم الفائدة، كما أن له أياديَ بيضاء على ما خلفه الأجداد من كتب التراث القيمة، فقد قام يرحمه – الله – بتحقيق بعضها خدمة للغة القرآن الكريم والإسلام فزاد فضلاً على فضل، ومنها :

١ – نثر الدر للآبي نسبة إلى « آبة » بأصبهان قام الشاعر بتحقيقه .

٢ – قام الشاعر بترجمة قصة « السادهانا» أو كنه الحياة للشاعر الهندي «طاغور» من الإنجليزية إلى اللغة العربية، وهذا دليل على أن له قدمًا راسخة في الترجمة؛ حيث إن الترجمة عملية صعبة، فهي ليست ترجمة ألفاظ، وإنما تقاس قدرة المترجم على براعته في نقل روح اللغة المترجم منها إلى اللغة المترجم إليها .

٣ – ربيع الأبرار ويقع في أربعة أجزاء للزمخشري .

٤ – حقق (المحمدون من الشعراء للقفطي) ولم يطبع بعد، وقد أحجم عن طبعه لأنه ظهر بتحقيق علمي في دمشق – سوريا ، ولا يزال في بيته لدى أسرته إلى الآن .

٥ – « سلمى » وهي مسرحية شعرية عن فلسطين العربية .

٦ – « الأعمى والطريق » مسرحية شعرية أيضًا .

---

(١) ينظر: الديوان « في تيه الحياة » ص ١٤ .

٧ – ديوان « في تيه الحياة» جمع وتقديم د/ علي الخطيب .

٨ – ديوان « الحصاد » طبع سنة ٢٠٠٣م ، في طبعة متواضعة[١] .

وفاته :

توفى – رحمه الله– في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة تسع وسبعين وتسعمائة وألف عن اثنتين وستين عامًا ، وبضعة شهور، ودفن بمقابر الخفير بالدراسة بالقاهرة ، بعد حياة حافلة بالتأليف والعمل والتصنيف [٢].

- **القصيدة**:

الموضع الأول: قصيدة{ في تيه الحياة} بحر البسيط

جلَّ الفؤادُ بهذي الأرضِ مثواه ∴ إذ لا فؤاد بهذا الخلقِ يرعاه

وملَّ عيشًا رتيبًا كالفناءِ غدا ∴ لا شيء فيه يرجيه ويخشاه

قد كان فيه لبانات تؤرقه ∴ ذوت فما ثم إلا الفقرَ يغشاه

قد كان دنيا من الآمالِ يعمرُها ∴ فصارَ كالقبرِ والآمالِ موتاه

وصارَ في تيه دنياه ومهمهها ∴ كما يسيرُ بتيه الموتِ صرعاه

يا أيَّها الناسُ فيم اليومَ بسمتِكم ∴ عفت السرور وعفت اليوم مرآه

أنتم خشاشٌ بترب الأرضِ مسكنُهُ ∴ حتي يموت فترب الأرض مثواه

(١) ينظر: الديوان « في تيه الحياة » ص ١٤ ، ١٥ .

(٢) ينظر: الديوان « في تيه الحياة » ص١٤ .

يا أيها الكوكبُ المنشود مقدمه ∴ أضئ لي القلبَ إنَّ الليلَ يغشاه
حَباك ربُّك نورا تستضئ به ∴ أضئ فؤادي بما أعطاكه الله
يا أيها الحبُ هل نور يكشفُ لِي ∴ ما يذخرُ الكون من أطيابِ نعماه
مَا زلتُ أطلب بدرا منك مطلعه ∴ حتي كبرت ولم أشهد محياه
مَا زلتُ أطلب بدرا استضيئ به ∴ فشاخ قلبي ولم أنعم بمرآه
من لي بكأسِك ترويني وتبعثُ لي ∴ قلبًا بأضلعهِ كنا دفناه
كَأنَّما صدره الملقى به قفص ∴ فأحطمه إن إسارُ القيدِ أضناه
هو الحياةُ فنحنُ الآن في زمنٍ ∴ كأنَّنا في فيافِي الموتِ نحياه
هو الحياةُ فمن لي أن أعيشَ بهِ ∴ حي الخوالجِ مغمورًا برباه
قَد ذاقه ملأ من قبل قد سعدوا ∴ وشَاهدوا من ضياءِ الحبِ أسناه
حُب الذي سَئم الدنيا بأجمعِها ∴ على الكمالِ بهذي الحبِ يَرقاه
قَسا الفؤادُ حنوا لا مُخاصمة ∴ كَذاك أحنى فؤاد الناس أقساه
لم يلقْ شيئا بهذا الكون يفرحُهُ ∴ ولم يجدْ شجنًا بالكونِ يخشاه
هما سواء إذا ما الكون أطربه ∴ من نشوة وإذا ما السهم أصماه
إنِّي لأبكي ابتسامًا حين أحرمُ من ∴ قصدٍ وأضحك دمعًا حين أعطاه

رواية العيشِ عفنا اليومَ مشهدها ∴ أين الستارُ الذي قَد كانَ يَغشاه

سئمتُ دنياي ما لم يحيها قبسٌ ∴ من عالمِ الحب يسمو بي لدنياه

وعفتُ قَومًا بها عقوا قلوبهم ∴ لهم مِنْ البهمِ أمثالٌ وأشباه

نَرى عليهم سماتُ الموتِ واضحةً ∴ والحيُّ منهم قليلٌ حَين تلقاه

قَالوا القلوبَ تعادينا فقلتُ لهم : ∴ قَد ذلَّ من قلبهِ في العيشِ عاداه

ظَنوا الحياةَ حطام المال تجمعُهُ ∴ إنَّ الحياةَ لإحساس تلقاه

أين الطعامُ وأين المالُ من ملأ ∴ هَفت قلوبهُمُ للحبِ تهواه

أين الطعامُ وأين المالُ من ملأ ∴ روى قلوبهم من نورهِ الله

سقاهم الحب خمر الروحِ صافيةً ∴ فَهم بِها في سَماءِ الروحِ قد تَاهوا

أنتم جُسومٌ كعيشِ البهمِ عيشكُم ∴ وهم بنو الخلدِ قَد هَاموا برياه

إليكم عشي القلب الطهور بِكم ∴ وحجبت عن ضياءِ الشمس عَيناه

تناقضتْ هذه الدنيا فهل قبسٌ ∴ من عَالم الفكر يَهدينا بهِ الله

إن سرت في بحرِها أبدى مجاهله ∴ يَصدني منه أمواجٌ وأمواه

أكلّما قَد عرفنا منه خافيةً ∴ إذ بنا قد نسينا ما عرفناه

أكلما قَد وصلنا غاية خُفيتْ ∴ وجدتُ شيئًا ضئيلاً ما وصلناه

مَا أولُ العيشِ في الدنيا ومنشأها ∴ مَا آخرُ العيشِ في الدنيا ومنحاه

ومَا الحياة؟ أأعمال نجاهدها ∴ أم أنها حلم نشتاق رؤياه

وهل تصرفها الأقدار لاهيةً ∴ لست أدري أين عقباه

حَقائقٌ لمْ نحط عَلمًا بمنشأها ∴ ومقصدٌ لمْ نحط فهمًا بمرماه

فلا تقولوا لشيء في مجاهلِها ∴ إنَّا عرفناه أو إنَّا جهلناه

هذا الكونُ نهواه ونجهله ∴ وإنَّ أحسنَ ما في الكونِ أخفاه

ولو عَرفنا لباب الكون أجمعه ∴ زالَ الجلالُ الذي قَد كَان يغشاه

إذا نظرنا بعين العقلِ زايلنا ∴ ذلك الخفاء الذي كنّا عشقناه

يَقولُ تلك ذريرات مشتتة ∴ لكنها عند نورِ العقل أشباه

لِبابها واحد في الكونِ أجمعه ∴ لكنها العرض المرموق أخفاه

فكيفَ تكبرُ كَونا أنت تعرفُهُ ∴ تَشابهت فيه أدران وأمواه

وذَلك القمر الرّفاف صَفحته ∴ كَهذه الترب السوداء منشاه

هَذا هَو العينُ عند الفكرِ منشاة ∴ وذلك الكون في التفكيرِ منحاه

يَموتُ منك شعور القلبِ أجمعه ∴ ويبطلُ السحر من آفاقِ دنياه

فَانْظر له بضياءِ القلب آن له ∴ نورًا علي الكونِ أبداه وأخفاه

وخُذ فؤادك مصباحًا تُضيء بهِ ∴ ليل الحياة وتَجلو منْ خفاياه

ليلاي أي بلاد الله موطنها ؟ ∴ فقيسها تائه التفكيرِ مضناه

إن ابتسامًا على الأفواهِ يخدعُني ∴ أين ابتسام علي الأفواهِ أهواه

إنِّي لأبحثُ عن ليلى لتشرقَ لي ∴ فجرًا على القلبِ يهديه ويرعاه

أَرَى بِها العيشَ مثل الخلد متشحًا ∴ ويَبرقُ النور فَتانًا بِمرآه

أُذيب قَلبي دموعًا حِين تغضبهُ ∴ وأترع القلب بشرًا حين ترضاه

وأجعل القلبَ فيها مُجمرًا عبقًا ∴ يفوحُ بالشعرِ إنْ هَاجت حناياه

عندي القريض وفيها الحسن أجمعه ∴ إنَّ القريضَ صدى منه ومعناه

تَجاوروا مُنذ آباد الزمان وقَد ∴ سقتهما من معين الروح أمواه

فكيف تبعدُ لحنًا عن ملحنِهِ ∴ وهل يفارقُ زهرًا طيب رياه

قالوا الزواجَ لسحرِ الحب آخره ∴ قلتُ الزواجَ من الأخباثِ معناه

إنَّ الغرامَ من الأرواحِ معدنه ∴ أما الزواج فهذا الجسم منشاه

أين الزواج من الحبِ الذي نهلت ∴ منه النفوس وذَاقت منه أَحلاه

ليلاي إن زَمَاني قد بَرى جَسدي ∴ وإن تَفكيرَ هَذا العقلِ أضناه

ليلان في القلبِ من فكري ومن زمني ∴ فالعقلُ ينشدُ في ليليهِ ليلاه

اللهُ خَالق هذا الكونَ أجمعه ∴ وبَارئ المثل العليا فمَا الله؟

شيء تعالى لعمري وأن نحددَهُ ∴ أو أنْ يحيطُ بهِ وصف وأشباه

في الروحِ والقلبِ والإحساسِ موطنهُ ∴ وبالخوالجِ نرجوه ونخشاه

لم نجهل الله بالقلبِ الطهور فما ∴ لنا إذا مَا بحثنا قد نفيناه

أَحس كل امْرئ في القدمِ أن له ∴ عَينا عليه تَراعيه وترعاه

بَني له صنما كالرمزِ يَكبره ∴ وشاده نصبا لله يهواه

لم يعبدوا الحجرَ المنصوبِ بل عبدوا ∴ مَا يطرق القلب من إحساسِ معناه

كل امْرئ مؤمن باللهِ يعبدُهُ ∴ إنْ كان يعشقُهُ أو كان يخشاه

فلا تكفر ذوي الأصنام من خطأ ∴ فإنهم عبدوا من قَد عبدناه

وكلهم عَارف باللهِ عابده ∴ رأوا من الخلقِ مَا كنا رأيناه

ولا تَقل إنَّهم ضلوا أو اختلفوا ∴ عن السبيلِ فَأنا قَد ضَللناه

دَع عَنك أفكارَ الناسِ قاطبة ∴ وثق بمفردك لا يرشدك إلاه

مَا عقلهُم غيرَ أوهامٍ مضللة ∴ إنْ رامَ يظهرُ لب الحقِ أخفاه

خُذ فكرك الحر مصباحًا يضيء ∴ وخل مصباحهم فالوهم أعماه

تَاهوا وضلوا وحَاروا في عقولِهم ∴ إنّي على تيههم بالحقِ تياه

الحقُّ يجلو لنا الدنيا فنبصرها ∴ كَالنورِ في الليلِ يجلو منه أخفاه

الحقُّ ينشدُهُ فكري ويعشقُهُ ∴ والحبُّ يطلبُهُ قَلبي ويهواه

الحقُّ يَجلو لنا الدنيا بمشعلِهِ ∴ والحبُّ ينفثُ فيها السحر رباه

إنَّ الغرامَ يرينا الكون منتشيًا ∴ كَأنَّما السحبُ الغراء مسراه

كأنَّه من عبيرِ الزهر نفحتُهُ ∴ كأنَّه من بهيجِ النورِ مرآه

الحقُّ والحبُّ ديني أجتلي بهما ∴ وجهُ الحياةِ وأجلو من خفاياه

تنازعَ الناسُ من قدمٍ وضللهم ∴ سرابُ دهرِ تغرُ العينُ رؤياه

الوهمُ يهديهم حينًا وآونة ∴ ترمي بهم في جحيمِ الحربِ كفاه

مَالٌ وجاهٌ وأوهامٌ وسفسطةٌ ∴ ومنطقٌ خادعٌ للناسِ مرآه

فاهوا بعلم ولو يدرون ما نطقت ∴ به مذابح العلم ما فاهوا

كلٌّ يقاتلُ أو يفنى بحومتِه ∴ والدهرُ يسخرُ منه حين أفناه

إنا لندعوهم للحق واضحةً ∴ أعلامه حيث لا مال ولا جاه

إنا لندعوهم للحب نيرة ∴ أفلكه تغمرُ الأكوان رياه

ديني هما كل دين منه منبعه ∴ وكل دين إليه – بعد– منجاه

قَد سيء لعمرك لا يرقي لغايتهِ ∴ فدمٌ ولا يعرف الضليل معناه

هما دواءٌ لداء الكونِ أجمعه ∴ داء التنازع أحياه فأضناه

فاسعوا إلي الحبِ واستجلوا محاسنه ∴ واسعوا إلي الحقِ واستوحوا وصاياه

يَا تيه أين مرامينا ومقصدنا ∴ ضلَّ الفؤادُ فهل تَدري بمرساه

أترشد الناسَ في الدنيا لغايتِهم ∴ وما اهتدي قلبنا الظامئُ لمرماه

هَذا ضياءٌ بليلِ التيه أنشده ∴ وذاك ري بقفر التيه أهواه

هذا جمالٌ براه ربه قبسا ∴ لكلِ من ضل في آفاقِ دنياه
لكنه بعذابِ الحب مبتهجٌ ∴ إنْ كان أسعده أو كان أشقاه
فيا فؤاد إلي الفجرِ الذي بزغت ∴ أنواره فهو ما كنا رجوناه
وإنْ أبادَك هذا الفجر من وهجٍ ∴ فإننا إن عشقناه فديناه
إنا إذا ما وصلنا الشمس فاحترقت ∴ أرواحنا فهو ما كنا نشدناه
للذعه النار آلام يلذُ بها ∴ من لمْ تمتعهُ بالأفراحِ دنياه
جمالك الشعر والرحمن نظمه ∴ رويت بالشعرِ علويات معناه
جمالك الحق والرحمن مبدعه ∴ وإنني في الهوي أتلو مسيقاه
جمالك الزهر والرحمن خالقه ∴ وإنَّني شاعر أشدوا برياه

الموضع: الثاني

لَمْ أستفقْ منْ مَسراتِي وأشجانِي ∴ إلا على ظلماتِ التيه تغشانِي
ومَا تصرَّم لحنُ العمرِ من أُذني ∴ فكيف أبعدتَ عَنْ عُودي وألحانِي
قَد كَان بين ضلوعي خافقٌ غرد ∴ مشتتٌ بين أفراحِي وأحزانِي
يَهوى الجمالَ ويحيى في خمائِلِه ∴ ويعشقُ الحبَ في سرِ وإعلانِ
فأصبحَ الآن بين التيه مُنفردًا ∴ مُشردًا بين آكامٍ ووديانِ
إذا تلفت حولي لا أرى أحدًا ∴ وحولي الصحب من أهلِي وأخدانِي
كأنَّني ميت في القبرِ ليس به ∴ إلا بقية أفكارٍ وأشجانِ

وسرتُ في التيهِ لا أهفو إلى أحدٍ ∴ كخاطرٍ في فيافِي الفكرِ حيرانِ

كفكرةٍ في سوادِ القلب جائلةً ∴ لا تستقرُ على شكٍ وإيمانِ

يَا أيَّها الناسُ ماذا في تناحرِكُم ∴ على حطامٍ بدنياواتِكم فانٍ ؟

أنتم لعمري آلاتٌ تحركُكم ∴ أوهامُكُم من مسراتٍ وأحزانِ

يَا واحة بين تيهِ الكونِ ناضرة ∴ لَمْ أحظ منها بأزهارٍ وأفنانِي

من أعين الحب سقياها ومغرسها ∴ ومن دماء فؤاد المغرم العانِي

فيها الحياةُ حياةُ القلبِ ما اختلجت ∴ فيه الخوالجُ من بشر وأشجانِ

يَا محيي الروح إنَّ الروحَ قَد فنيت ∴ فَانْشر حَياتك في روحِي ووجدانِي

يَا أيها الحبُّ إنَّ القلبَ ذو شغف ∴ لسحرِ نور بشمس منك فتان

الحبُّ طيرٌ بدنيا الروح صادحةٌ ∴ له جناحان من نورٍ ونيران

لا تحسبوا الحبَ غِلاً وهْو مطلقكُم ∴ ولا تظنوه إثمًا وهْو روحاني

والروحُ في أرضِ دنيانا مقيدة ∴ والحبُّ منطلق من غلٍ جثمان

والروحُ في أرضِ دنيانا مقيدة ∴ والحبُ يسمو بها في عالم ثاني

ليس التآلفُ في نفسين منقصة ∴ وإنَّما النقص في بغض وخذلان

الحبُّ عنوانُ ما في الكونِ مِنْ أَملٍ ∴ إلى الكمالِ بهذا العالمِ الفاني

لولاه ما عرفَ الإنسانُ من قدمٍ ∴ ما شانه من ضلالاتٍ ونقصان

لا تنكر الحبَّ لولا الحبُ لانطمست ∴ هذي الفضائل من برٍ وإيمانِ

لو أنَّه عم في الدنيا لما وجدت ∴ تلك النقائص من بغضٍ وعدوانِ

مَا هذه اللعب اللائي تحركُها ∴ يد المقاديرِ في صمتٍ وإتقان

لمسرح الأرض كف فعله عجب ∴ يحرك الناس والأفلاك في آن

وجَاثمٌ لما وراء الستر يمسكنا ∴ بكف ذي هيبة فينا وسلطان

نري ولا نستطيع الدهر ندفعه ∴ نحن ألاعيب والنظار في آن

الناسُ أجمع والدنيا عرائسه ∴ والخاطرات بأفلاكٍ وأذهان

يَا أيها الشاه لا تستعبري جزعا ∴ و يَا سوائم لا تمني بأحزان

نَحن الشياه عصا الأقهار تدفعنا ∴ أمَامها في سبيلِ العَالم الفاني

الكونُ مجموع أضداد مقاتلة ∴ كأنَّها في مجالِ الحرب خصمان

حَربٌ أعدت لها الأقدار عدتها ∴ لغاية خفيت عن كلِّ وجدان

والدهرُ يسخرُ والأيام دائرة ∴ والحربُ قائمة في كلِّ ميدان

وكل منهزم أو كل منتصر ∴ في نظرة الدهر والأقدار سيان

إنِّي لأحلمُ والدنيا تُحاربني ∴ بعالمٍ في ظلالِ الحبِ نورانِي

تَرى الرجالَ أفانينا مؤلفة ∴ خَلت به من عداواتٍ وأضغانِ

الحبُ يصدع فيهم ثم صدحته ∴ والدهرُ يجري على رفقٍ وتحنانِ

إنِّي لأحلمُ والأقدارُ تسخرُ بي ∴ بجنةٍ نزهت عن كلِّ عدوانِ

مَا لي وللحلم الفضي قَد صفرت ∴ نفسي وروحي من أفراحِ أزمانِي

ذوت أزاهير هَذا القلب واعْتصرت ∴ كَف الزمان حياة بين وجداني

أكلما اجتذبتني زهرةٌ عبقت ∴ لم ألق منها سوي شوك وعيدان

أكلما جَئت ورد البشر أنهله ∴ إذا به ورد آفات وأشجان

لا تنكروا شعري المحزون يحزنكم ∴ مَا لحنه غير أصداءٍ لألحاني

يَارب دنياك دنيا كلها عَبث ∴ كَأن في أهلها مس شيطان

مَا غايةُ الكونِ في دنيا وآخرةٍ ∴ أسائرٌ لكمالٍ أم لنقصان؟

أفدي بنصف حياتي من يبين لي ∴ مسير كوني عن علمٍ وعرفان

قَالوا الكمال دليل الكون من قدمٍ ∴ ألا تَري وسمه في كلِ أزمان

قَالوا لنا المثل العليا مطالبنا ∴ آمنت لولا مصيرُ العالم الدّاني

نَبني إلي الشمسِ نرقاها وتطلبها ∴ والموتُ يهدمُ منّا كل بنيان

فيم الكَمال نرجيه ونطلبه ∴ ومَا نَسيرُ به إلا لِفقدان

لا تعشقوا الكونَ أغوانا وضللنا ∴ بِزخرف منْ أمانينا وبهتان

وكلُ نفسٍ لها آمالها رسن ∴ والدهرُ يمسك منا كل أرسان

مَا لِي أرَى الفكرَ تحدوني هدايته ∴ إلى ظلامٍ ضرير النور مدجان

اتْخذته لي نورًا استضئ به ∴ في حيرتِي فإذا بالنورِ أعماني

أمات مني حياة بين جانحتي ∴ خلقت منها مسراتِي وأشجاني

لا ليس فكري وإن طابَت موارده ∴ يومًا ليمنعَ عني ورد إيماني

لا ليس فكري وإن ضاءت كواكبه ∴ يومًا ليحجبَ عني شمس وجداني

لا ليسَ بحثي وتنقيبي وتجربتي ∴ تصمُّ أُذنيَ عنْ أصداءِ ألحاني

يا خالقَ النفسِ هذي نارها لفحت ∴ هياكلي ومحاريبي وأوثاني

خلقتها فهي في الأضلاعِ حائرةٌ ∴ تشك فيك علي سر وإعلان

وأنت روحي قوي ليس يبلغها ∴ روح بِهذا الهباء الزائل الفاني

روحٌ لها قوة في الكونِ قادرة ∴ تسيطرت فوق آمادٍ وأزمان

أخال آمال هذا الخلق ألتها ∴ لما ستفعله في كل أنسان

أخال عَقلا كبيرا لا يحد له ∴ فكر ينظمُ دنيانا بإتقان

الروحُ والعقلُ ربي أستكينُ له ∴ حبًا وأرجو لديه كل إحسانِ

إذا غرقتُ ببحرِ العيش واصطخبتْ ∴ أمواجُ دهري فكف الله نجانِي

وإنّ ضللتُ بتيه العيشِ يَغمرُني ∴ فَقَدْ تَخَذْت لتيه العيشِ إيمانِي

إنْ كل عقلي وخانتني كواكبه ∴ فإنَّ عاطفتي في العيشِ معوانِي

يَا ناي قلبي لا تخمد ففي أذني ∴ شوقٌ إلى عذبِ أنغام وألحانِ

أن لمْ يؤتك لحن الحب فاشد لنا ∴ ألحان حسن بهذا الكونِ فنان

يَا جمرةَ القلبِ لا تخمدك كارثة ∴ فأنت عندي نوري بين أدجاني

أين الهوي يا فؤادي غاب كوكبه ∴ عني وأظلم ليلي بين وجداني

نخاف أن تمضي الأيامُ بي عبثا ∴ أسيرُ فيها كميتٍ بين أكفان

إنْ ضَاعَ حبي وإن غَابت مشارقه ∴ قَدمت قلبي قربانا لإيماني

مَا للسراب يناديني ويخدعني ∴ مَا فيك يَا دهر إرواء لظمأن

سَرابُ دهري تغريني مواردِه ∴ صَدفت عنه علي علمٍ وعرفان

سَارت إليه جيوش الناس فاشتبكت ∴ سبيلهم فتعادوا أي عدوان

كلٌ يعادي أخا في العيش يحسبُ في ∴ وجوده كل إقصاءِ وخذلان

كلٌ يعادي وكلٌ سائر عجل ∴ وكلهم هالك في سَيرهِ فاني

كلٌ يقاتل والآمال تخدعنا ∴ وآخر السعي أن نجزي بحرمان

يا قلبُ فاله كما يلهون واغْد كما ∴ يغدون وانعم بأوهامٍ وبهتانِ

واخدعْ حياتَك فالأيامُ تَخدعنا ∴ واضْحكْ وكن وثنا ما بين أوثانِ

مَاذا يفيدك منْ شكٍ وفلسفةٍ ∴ مَاذا يفيدك منْ علمٍ وبرهانِ

مَاذا يفيدك من ليلٍ سَريت بهِ ∴ وأنت تظلعُ منْ رزءٍ وحرمان

مَاذا يفيدك من يومٍ تسيرُ به ∴ يحار فكرُك في شكٍ وإيمانِ

إنْ كَان آخرنا قبر سَيجمعنا ∴ فالعلمُ والجهلُ في الميزانِ سيانِ

يَا تيه ضَلت بي الأفكار وانْطفأت ∴ مشاعلي بين آكامٍ ووديانِ

يحيطُ بِي منْ ظَلامٍ لا يبددهُ ∴ أنوار منْ سَلك البيضاء خدنان

سَريتُ فيك وقلبي بين أضلعِهِ ∴ مقسمٌ بين أفراحِي وأحزانِي

بَقيةٌ بَين فَك الموتِ جائلةٌ ∴ هو الحياةُ بجسمي العامد الفاني

قدمتُهُ بالذي يحويه من عمرِي ∴ ومن حياتِي قربانًا لأوثاني

قَدمتُهُ فديةً غَراء طاهرة ∴ منْ أَجل ربّي وإيمانِي وأوطانِي

تَشابهت سبل الأيام واتْحدت ∴ وأفقرت غَير أوهامٍ وحسبان

مَالي أري حادثات الدهر تحرمني ∴ كأنَّني لستُ أرجو غير كفران

الحبُ يأتيه أين الموتُ مورده ∴ قَد طَالَ شَوقي لدنياه وتحناني

كَي أفدي الروحَ في أضوائِهِ مرحا ∴ وأترع القلب كي أغري الروحَ في أضني

مَا زلتُ أنشده والدهرُ يحميني ∴ وأبتغي نورَه والليلُ يغشاني

مفتشا بين هذي الغيد عن ملك ∴ ألقي إليه بِأثقالِي وأشجاني

شَلت يمينك يا دهراً يدافعني ∴ عن ما حوى كل صعلوك وشيطان

أتحرم الشاعر الفنان مورده ∴ والحب والحسن دنيا كل فنان

لم يظفرْ العقلُ في الدنيا بِبغيتهِ ∴ فَهل سَيظفر بالآمالِ وجداني

مَالي أري حادثات الدهر تحرمني ∴ كأنَّني لستُ أرجو غير كفران

إنّ كَان هَذا هو الدنيا وبهجتها ∴ فَإنَّها وجحيم القبر سِيان

الموضع : الثالث، بحر المنسرح

إنْ لفَّكَ التيهُ في مجاهلِهِ ∴ وضَلل السمع منك والبصرا

فَاملأ من الحبِّ قفره زهرا ∴ وامْلأ من الحقِّ جدبه ثَمرا

واجْعله بِالحبِ مزهرًا غردا ∴ واجْعله بِالحقِ مثمرًا نضرا

هُما دَليلا الكَمال من قدمٍ ∴ ولبه الخَالد الذي اسْتترا

القصيدة في الديوان :

يحتوي الديوان على إحدى وستين قصيدة تختلف فكرًا ومعنى، كما تختلف قصراً وطولًا، ولعل أكبرها على الإطلاق قصيدة « في تيه الحياة » التي تقع في ثلاثة مواضع في ديوانه، موضعين ببحر البسيط، وموضع ببحر المنسرح، وقافية مختلفة؛ وذلك لأن المضمون واحد، والمتأمل لحس الشاعر فيها يرى أنه يجنح دائمًا إلى فلسفة الحياة وتفسير ظواهرها ومحاولة إدراك كنهها في صورة فلسفية [١] كما يسير في دهاليز الحياة وأغوارها ويخبر أسرارها، ويغوص فيها – رغم قسوة الأمواج وهبوب الأعاصير– غوص المكتشف لا غوص السابح، فهو يعود لنا دائمًا بدرر المعاني وأصداف الرموز في نسق عذب وصوغ جميل [٢]. فالنفوس العادية لا تعرف من الحياة إلا مظاهرها، أما النفوس الممتازة فهي التي تستطيع أن تعرف من الحياة علي قدر طبائعها واستعدادها، فمعرفة الزعيم بالحياة غير معرفة الفيلسوف أو الشاعر، كل علي قدر ما وهبه الله من استعداد، فميزة الشاعر هي أن يعرفنا

(١) ينظر: الديوان « في تيه الحياة » ص ٢٢ .

(٢) ينظر: الديوان « في تيه الحياة »، ص ٢٠ .

بجانب أو جوانب من هذه الحياة، ومن خلال هذه النفس الحزينة جال بنا الشاعر في سراديب الحياة وكشف لنا عن كثير من جوانبها بعمق نفسه الشفافة المتمردة ، حيث نظر إلي تلك الجوانب لا بعينه المجردة، بل بنفسه المتمردة، وقلبه النابض وحسه المرهف، وعقله المدقق المتفحص[١]، وقد استخدم الشاعر لإظهار قلقه وثورته وتمرده علي الحياة حشدًا هائلًا من الألفاظ، والعبارات الموحية التي سنحاول الكشف عنها في الصفحات القادمة.

(١) ينظر: الديوان « في تيه الحياة » ص ١٢٣ .

✍ المطلب الأول: الانسجام وآلياته في القصيدة

لكي يحصل الترابط بين جمل النص ومقاطعه لا بد من جملة من الوسائل المختلفة في طبيعتها ووظائفها ومعانيها ، ولا تكمن أهمية وسائل الربط في أنها تجعل النص مرتبطًا بعضه ببعض فحسب، بل أيضًا تجعل السامع أو القارئ يتابع الخطاب ويفهمه حتى قيل إن النص «المنطوق أو المكتوب يعتمد في تفاعله مع الكلام على إدراك الروابط ، وعلاقات التضام بين أجزائه ، وهذا التفاعل يقود إلى ملء الفجوات التي تتخلل أجزاء النص، وتهيئ له حضوره الكلي »[١] .

والانسجام يهتم بالعلاقات الداخلية الموجودة بين أجزاء النص، بخلاف الاتساق الذي يقوم على العناصر الشكلية فقط، حيث قيل: «يتألف من عدد من العناصر التي تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمنية، والروابط الإحالية في تحقيقها..... ويعني ذلك أن النص بنية مركبة متماسكة ذات وحدة كلية شاملة»[٢].

وقيل أيضًا : «إن الانسجام أعم من الاتساق، كما أنه يغدو أعمق منه، بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلاً « أو غير المتحقق » أي

(١) الأسلوبية ونظرية النص : إبراهيم خليل ، ص ١٣٦ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، سنة ١٩٩٧م .

(٢) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : سعيد حسن بحيري، ص ٧٨ ، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة أولى سنة ١٩٩٧م. ، وينظر: دراسات لغوية تطبيقية، سعيد بحيري ص٧٨

الاتساق إلى الكامن « الانسجام» [١] ، ولهذا تعددت عناصر الانسجام وآلياته تبعًا لتباين آراء علماء النص[٢] ، وفي هذا البحث نتناول عناصر الانسجام وأبرزها التي وجدت في قصيدة « في تيه الحياة» للشاعر محمد قرنه، وهي كالآتي : أولاً: العنوان، ثانيًا: السياق ويشمل المتكلم، والمتلقي، والزمان والمكان، ثالثًا: الحذف، رابعًا: الوصل أو الربط، خامسًا: التكرار، ومن الإجمال إلي التفصيل.

أولاً : العنوان :

يعد العنوان من الركائز المهمة في انسجام النص؛ لأنه يفصح عن نص القصيدة، وبؤرة أفكارها ومعانيها، حتى قيل : «العنوان صلة قائمة بين مقاصد المرسل وتجلياتها الدلالية في العمل، وهكذا نتبنى علاقة أولية، ونؤكد على أوليتها بين العمل وعنوانه»[٣]، فالعنوان هو المنبه، ونقطة الوصل إلى غرض القصيدة؛ لذا جاء عنوان القصيدة « في تيه الحياة » ملائمًا ومنسجمًا مع غرض القصيدة، مثيرًا لاهتمام القراء، وحافزًا لهم على قراءة نص القصيدة، مليئًا بالتعبيرات الجذابة والمشوقة التي تدل دلالة واضحة على مضمون القصيدة، وهذا ما بينه ناشر الديوان حينما قال عن هذا العنوان: أسماه بهذا الاسم « في تيه الحياة » ليسير بقارئه في دهاليزها ويسبر أغوارها ويخبر أسرارها، ويغوص فيها رغم قسوة الأمواج

(١) لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد خطابي ، ص ٥ – ٦ ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م.

(٢) راجع : الكتب المتعلقة بالنص، مثل علم لغة النص لسعيد حسن بحيرى، ونحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي لأحمد عفيفي..... وغير ذلك من الكتب المختصة .

(٣) العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي : محمد فكري الجزار ، ص ٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٨م .

وهبوب الأعاصير ، غوص المكتشف، لا غوص السابح ، فهو يعود لنا دائمًا بأجمل المعاني والرموز في نسق عذب وصوغ جميل[١] .

وقال أيضًا : « ولعل ما يجعلنا نطمئن إلى شاعريته، وصدق حسه هو تقديمه لديوانه بنفسه ، فليس أعرف من الشاعر بمقاصد لفظه ومراد معناه ، حيث يقول في تفسير عنوانه « في تيه الحياة» بأنه كان يرى أن الحياة تيه واسع متشعب المسالك متشابهًا يسير فيه الناس عارفين أو جاهلين ما بين غاضب وراضٍ متمرد وقانع ، وباكٍ وفرح، ومتفائل ومتشائم، وكلهم يتقاتلون في ذلك التيه أو يتنازعون، وتشتعل بينهم المعركة الأبدية الخالدة، وكل منهم يدق عنق أخيه طمعًا في نيل سراب يبرق لهم ماؤه في صحراء الحياة الجافة، وكلهم يموتون على قيد شبر منه مدفوعين عنه محرومين، والدهر يدفعهم ... ساخرًا بالمنهزم والمنتصر على السواء لولا رياء يحجب سخره عن الناس... فالحياة تيه واسع تلمع فيه الأوهام وتقود بها خطانا في سبيل غايتها التي لن تعمل لها وسرابها الأكبر سراب الكمال »[٢] .

على هذه الروح يفسر الشاعر كل ما في الحياة من مظهر ، ويمزج كل ذلك بعاطفته الثائرة وخياله المتمرد الذي ينطلق إلى ما وراء الغاية، حيث يستكنه الحياة، ويحس بها على نحو يراه صحيحًا .

ويلحظ في هذا العنوان تقديم شبه الجملة « في تيه» ثم مجيء الحياة معرفة بالألف واللام، ولم يقل مثلاً « في تيه حياة» أو« الحياة في تيه» ليدلل على

(١) ينظر: الديوان « في تيه الحياة » تحقيق د/ علي الخطيب ، ص ٢٠ .

(٢) الديوان « في تيه الحياة » ص ٢١ ، ٢٢ .

الظرفية الزمانية في تجربته الشعرية حتي تلهب قلبه لتكون دافعاً للتعبير عن حالته النفسية التي يعيشها الشاعر من عدم الاستقرار والتخبط والقلق .

كما أن عنوان القصيدة« في تيه الحياة» يكشف لنا بوضوح عن حقيقة الدنيا وتقلباتها فهي لا تستقر علي حالة واحدة، فاليوم في فرح وغدا في حزن....، ولهذا ينبغي علي الإنسان العاقل أن يكيف نفسه مع هذا العنوان وألا يغتر بمفاتنها الجذابة وضحكاتها الخداعة وابتسامتها البراقة، فسرعان ما تنتهي كل هذه الأشياء، ولذلك نجد العنوان الذي اختاره الشاعر بعناية فائقة عبر عن هذه المعاني بصدق وكشف لنا عن التجربة المتقلبة التي عاشها الشاعر في هذه الحياة.

وبذلك يتسق العنوان مع القصيدة من أولها إلي أخرها، حيث يرى نفسه هائمًا في تيه الحياة، متخبطا في دياجيرها، ليراها في بعض جوانبها صحراء بلقعا، ويراها في بعضها الآخر جناتًا وارفةً، وهو يصارع أحداثها بحدقته الفنية كل ما تقع عليه عيناه في هذه الحياة [١]. وهذا ما سنحاول إثباته في ثنايا البحث

ثانياً : السياق

يعد السياق أداة إجرائية تلعب دورًا مركزيًا في تجديد المعنى المراد، إذ يكاد يتفق معظم الدلاليين أن للكلمة معنى قاعديًا، ومعنى سياقيًا، وبذلك يظهر أن أي اقتراب من قضية المعنى يحث على معرفة السياق[٢]، وهم بذلك يؤكدون على أنه من أهم العوامل التي تساعد في تحقيق التماسك النصي ، من خلال مقولتهم

(١) ينظر: الديوان« في تيه الحياة »، ص ٧ .

(٢) ينظر : السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة : علي آيت أوشان ، ص١٥، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

الشهيرة : «إن لكل مقام مقالاً »[١] ، إن المجالات التي يفرضها السياق عديدة، وتتوزع عبر فضاءات معرفية كثيرة ، منها ما هو مرتبط بالمتكلم والمتلقي ، وشروط الإنتاج اللغوي والزمان والمكان ... وغيرها [٢] .

أ : المتكلم (الشاعر) :

الأبيات التي تحمل عنوان « في تيه الحياة » توحي بأن المتكلم « الشاعر» إنسان حائر ، تائه، قلق، متشرد، متخبط، يعاني كل أنواع الهموم في هذه الحياة حتى إن ذاته تحاصر أغلب مقاطع الأبيات من ذلك قوله[٣]: من البسيط

جلَّ الفؤادُ بهذي الأرضِ مثواه ∴ إذ لا فؤاد بهذا الخلقِ يرعاه

ومل عَيشًا رتيبًا كالفناءِ غدا ∴ لا شيء فيه يُرجِّيه ويخشاه

قَد كَان فيه لبانات تُؤرقه[٤] ∴ ذوت فما ثم إلا الفقرَ يغشاه

قَد كَان دنيا من الآمالِ يعمرُها ∴ فَصارَ كالقبرِ والآمالِ مَوتاه

وصَارَ في تيه دنياه ومهمهها ∴ كما يَسيرُ بتيه الموتِ صَرعاه

---

(١) معجم ديوان الأدب : للفارابي ، ١٨٩/٣ تحقيق د/ أحمد مختار عمر ، طبعة دار الشعب بالقاهرة سنة ٢٠٠٣م .

(٢) ينظر: السياق والنص الشعري من البنية إلي القراءة ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٣) الديوان « في تيه الحياة » ، ص ٥٣ .

(٤) لُبانات ولُبَان: حاجة. معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) ج٣ص ١٩٩٢ بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

في هذه الأبيات يحاول الشاعر التعبير عن حياة القلق والتخبط التي ملأت قلبه من هذا المجتمع، حتى أصبحت حياته فيه رتيبة جاحدة لا جديد فيها، بعد أن كانت الآمال والأحلام تملأ قلبه، وتسيطر على كل تفكيره، أصبح في هذه الحياة يسير فيها كما تنقل الأموات إلى مثواهم الأخير، فذات الشاعر « الأنا» حاضرة في هذا النص مثل قوله : « مل الفؤاد – مل عيشًا رتيبًا – قد كان فيه لبانات – قد كان دنيا من الآمال – فصار كالقبر – وصار في تيه دنياه .... » كل هذا فيه دلالة على حالة التخبط والتوتر التي يعيشها الشاعر في هذا المجتمع، والذي أصبح يعيش فيه تفاوتًا واضحًا بينه وبين واقعه، ثم انظر إلي الصورة التشبيهية التي وظفها الشاعر توظيفًا حسنًا للتعبير عن حقيقة هذه الدنيا، ولذلك استخدمها في هذه المقطوعة ثلاث مرات: المرة الأولي: في قوله: « ومل عيشًا رتيبًا كالفناء غدا» والثانية في قوله: « فصار كالقبر والآمال موتاه » والثالثة في قوله: « وصار في تيه دنياه ومهمهها كما يسير بتيه الموت صرعاه » كل هذه التشبيهات أدت الغرض المراد منها علي أكمل وجه، وعبرت بصدق عن حالة الحزن والأسي والهم والحيرة التي عاشها الشاعر في هذه الحياة، واتفقت تمام الاتفاق مع السياق الذي قيلت من أجله هذه القصيدة.

ويقول [١] أيضًا في مقطع آخر ، يعترف فيه الشاعر بأنه كان ضحية التيه في الحياة : [من البسيط]

(١) الديوان « في تيه الحياة » ، ص ١٠٩ .

لم أستفقْ من مسراتِي وأشجانِي ∴ إلا على ظلمات التيه تغشانِي

ومَا تصرَّم لحنُ العمرِ من أُذنِي ∴ فكيفَ أُبعِدتُ عن عُودي وألحانِي[١]

قَدْ كَان بين ضلوعي خافقٌ غرد ∴ مشتتٌ بين أفراحِي وأحزانِي

يَهوى الجمالَ ويَحيا في خمائِلِه ∴ ويَعشقُ الحبَ في سرِ وإعلانِ

فَأصبحَ الآن بين التيه مُنفردًا ∴ مُشردًا بين آكامٍ ووديانِ

إذا تلفت حَولي لا أرى أحدًا ∴ وحَولي الصحب من أهلِي وأخدانِي

كَأنَّني ميتٌ في القبرِ ليسَ بهِ ∴ إلا بقية أفكارٍ وأشجانِ[٢]

وسرتُ في التيهِ لا أهفو إلى أحدٍ ∴ كخاطرٍ في فيافِي الفكرِ حيرانِ

كَفكرةٍ في سَوادِ القلب جائلةٌ ∴ لا تستقرُّ على شكٍ وإيمانِ[٣]

هذه الأبيات محملة بشعور قوي ينبع من أعماقه ليفجر كل ما بداخله من مشاعر الحزن، والقلق، والتشتت، والحيرة التي يعيشها الشاعر، وذلك ظاهر في التضاد في قوله : « مسراتي وأشجاني – أفراحي وأحزاني – الحب في سر وإعلان – مشردًا بين آكام ووديان .... » ثم إن ذات الشاعر حاضرة في هذا النص «ياء

(١) تصرم: انقضى، لسان العرب تأليف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ) ج١٢ص٣٣٥، الناشر: دار صادر– بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

(٢) أشجان: حزن وهم، معجم اللغة العربية المعاصرة ج٢ ص١١٦٨

(٣) جائل: طاف به، معجم اللغة العربية المعاصرة ج١ ص٤٢٣

المتكلم» « مسرتي وأشجاني – أفراحي وأحزاني .... » يستنتج منها عمق المعاناة الداخلية التي يعيشها في هذه الحياة، فالأبيات تكاد تنطق حزنًا ويأسًا، وقلقًا، وحيرة، ولذلك اختارها الشاعر بعناية فائقة للتعبير عن تجربته، ويكفيه البيت الذي يقول فيه:

كَأَنَّني ميتٌ في القبرِ ليسَ بهِ ∴ إلا بقية أفكارٍ وأشجانِ

فهذا البيت بمثابة القصيدة كلها؛ لأنه شبه نفسه من كثرة الهموم والأحزان بالميت في القبر... وهل هناك شيء يرتجى وينتظر من الميت في القبر، لا أمل له ولا رجاء، كل ذلك له دلالات علي سياق القصيدة.

ب - المتلقي (القارئ) :

العمل الأدبي لا يكتسب قيمته من خلال بنياته اللغوية والجمالية فقط، وإنما أيضاً من خلال الواقع الذي يخلقه « الأثر المحدث» ومن هنا نستخلص أن هذا الأثر مبني على نوعين من التفاعل ، الأول : جمالي مباشر ويقوم على الأثر الذي يحدثه النص في المتلقي، والثاني : جمالي واع ومتأصل يستوعب هذا الأثر ثم يسعى إلى تبريره[١]، وبذلك يصبح المتلقي طرفًا أساسًا في عملية تلقي النص، وقد آثر الشاعر «محمد قرنة» إيصال معنى معينًا إلى متلقٍ معين، حيث يخاطبه بالتخلي عن أفكار الناس والاعتماد على نفسه في قوله [٢]: من البسيط

دَعْ عنْك أفكارَ الناسِ قاطبة[٣] ∴ وثق بمفردك لا يرشدك إلاه

(١) ينظر : السياق والنص الشعري من البنية إلي القراءة ، ص ١٥٦ .

(٢) الديوان : في تيه الحياة ، ص ٥٧

(٣) قاطبة: جميعًا، لسان العرب لابن منظور ج٦ص١٠

مَا عقلهُم غيرَ أوهامٍ مضللة ∴ إن رامَ يظهرُ لب الحقِّ أخفاه

خَذْ فكرك الحر مصباحًا يضيء ∴ وخلّ مصباحهم فالوهم أعماه

تَاهوا وضلوا وحَاروا في عقولِهم ∴ إنّي عَلى تيههِم بِالحقِ تياه

في هذه الأبيات يوجه الشاعر رسالة إلى المتلقي بالاعتماد على النفس والفكر والتخلي عن أفكار الناس الهدامة التي تؤدي إلى الهلاك والضلال، والنبرة الخطابية ظاهرة في الأبيات كـ « دع عنك – بمفردك – خذ فكرك الحر – وخل مصباحهم .... » ولعل الشاعر أيضًا يقصد نفسه من هذه الأبيات، وحاول أن يجرد من نفسه إنسانًا آخر يخاطبه ويوجه له النصح والإرشاد الذي يساعده علي الخروج من هذا النفق المظلم والأفكار الضالة والعقول الهدامة؛ لأن الاعتماد علي أفكار الناس والركون إلي عقولهم قد يكون سببًا في هلاك الإنسان وحيرته وقلقه، وصدق ربنا إذ يقول ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ (١).

وفي مقطع آخر يقول (٢) مخاطبًا الناس في بيان حقيقة الدنيا الفانية [من البسيط]:

يَا أيّها النَاسُ مَاذا في تناحرِكُم ∴ عَلى حطامٍ بدنياواتِكم فانٍ ؟

أنتم لعمريَ آلاتٌ تحركُكم ∴ أوهامُكُم منْ مَسراتٍ وأحزانِ

يَا واحة بَين تيهِ الكونُ ناضرة ∴ لمْ أحظ منها بأزهارٍ وأفنانِي

(١) سورة الأنعام آيه ١١٦

(٢) الديوان : في تيه الحياة ، ص ١١٠

منْ أعين الحب سقياها ومغرسها ∴ ومن دماء فؤاد المغرم العانِي

فيها الحياةُ حياة القلبِ ما اختلجت ∴ فيه الخوالجُ من بشر وأشْجانِ

يَا محيي الروح إن الروحَ قَد فنيت ∴ فَانْشر حَياتك في روحِي ووجدانِي

يخاطب الشاعر (المتلقي) جميع الناس متسائلاً عن سبب تناحرهم في هذه الدنيا الفانية، مبينًا أنهم فيها مجرد آلات وهي التي تحركهم ، وأن المسرات والأحزان فيها ما هي إلا أوهام، فالنبرة الخطابية واضحة كقوله : « يا أيها الناس – تناحركم – بدنياواتكم – أنتم لعمري – تحرككم – أوهامكم .... » .

ج : الزمن والمكان :

جاءت كتابة الديوان ومن ضمنها القصيدة التي نحن بصدد دراستها في ظروف حياتية صعبة للشاعر، وخاصة أن مصر كانت تمر بحقبة زمانية عصيبة، بداية من الأحوال السياسية من حيث كونها أصل لكل تغيير، وأساس في تشكيل حياة المجتمعات، فقست الحياة بمصر في هذا الوقت لقسوة الساسة، وعنف السياسة، وقست معها ظروف الحياة المعاشة، فأصبح الناس في شغل عن الفكر، وبعد عن الكلمة، حيث أصبح اللفظ الحر تمردًا، والفكر الحق مروقًا ، والتمسك بالفضيلة رجعية، فاضطرب الفكر، وتحير العقل، وغابت الحقيقة، وعليه تقوقع الشعراء داخل ذواتهم يشتكون ظلم الحياة في رمزية وأفكار موحية، ومنهم من لم تسعه نفسه ، فانطلق إلى الطبيعة يبثها نجواه وشكواه، وشجونه يجد في أفيائها المتسع لضيق نفسه القلقة، واضطراب فكره المتحير، ومن هؤلاء الشاعر(محمد قرنه) حيث تواكبت عليه ظروف الزمان وكر الحدثان، وتنكرت له الأيام حينًا من عمره، حيث سجن لفترة جزاء فكره الثوري الجريء في مواجهة الأعداء، حين كان

متطلعا إلى بناء بلده في حقبة عصيبة[١]، فلا عجب أن نرى في شعره أبياتًا تعبر عن الآلام والحزن التي مر بها في هذا الزمن، ومن ذلك قوله[٢] وهو يعبر عن حياته في هذا الزمن[من البسيط] :

هو الحياةُ فنحنُ الآن في زمنٍ ∴ كَأنَّنا في فيافِي الموت نَحياه

هو الحياةُ فمن لِي أن أعيشَ به ∴ حي الخوالج[٣] مغمورًا برياه

قَدْ ذاقه مَلأ منْ قبل قَد سعدوا ∴ وشَاهدوا منْ ضياء الحبِ أسناه

حُبّ الذي سئم الدنيا بِأجمعِها ∴ عَلى الكمالِ بهذي الحبِ يرقاه

قَسا الفؤادُ حنوا لا مخاصمة ∴ كَذاك أَحنى فؤاد الناسِ أَقساه

تعبيرات الشاعر في هذا النص تدل على الحالة النفسية التي يعيشها في زمانه، فقسوة الزمن والحياة جعلته ميتًا وهو حي، مغمورًا رغم أنه يعيش بأحاسيس ومشاعر، كره الدنيا بأجمعها، وقوله [٤] : [من البسيط]

إنِّي لأبكي ابتساما حين أُحرمُ من ∴ قَصدٍ وأضحك دمعًا حين أعطاه

روايةُ العيشِ عفنا اليومَ مشهدها ∴ أين الستارُ الذي قد كانَ يغشاه

سَئمتُ دنياي مَا لمْ يُحيها قبسٌ ∴ من عالمِ الحب يَسمو بي لِدنياه

(١) ينظر: الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ٥٣.

(٣) الخوالج: أي شغلته الشواغل، لسان العرب لابن منظور ج٢ص٢٥٨ .

(٤) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ٥٤ .

هذه الأبيات الثلاثة تعبر بصدق ووضوح عن مأساة الشاعر وحزنه العميق حتي وصل به الأمر أنه يبكي تبسمًا، ويضحك دمعًا، فمن شدة الحزن انقلبت عنده موازين الحياة، فصار البكاء ضحكًا، وصار الضحك بكاءً، ولذلك سئم دنياه؛ لأنه لا يجد فيها قبسًا من الحب وبصيصًا من الأمل.

وقوله [١] في تشابه الأيام وأحداث الزمان [من البسيط] :

تَشابهتْ سبلُ الأيامِ واتْحدتْ ∴ وأقفرتْ[٢] غيرَ أوهامٍ وحسبانِ

مَا لي أرى حادثات الدهر تحرمُني ∴ كأنَّني لستُ أرجو غيرَ كفرانِ

وكذلك قوله [٣][من البسيط] :

إنِّي لأحلمُ والأقدارُ تَسخرُ بي ∴ بجنة نُزِّهتْ عن كلِّ عدوانِ

مَا لي وللحلم الفضي قد صفرت[٤] ∴ نفسي وروحي منْ أفراحِ أزماني

هكذا شكل الزمن أساسًا مهمًا في قصيدة الشاعر حيث عبر عن توتر شخصيته وقلقها، وتأزمها في مواجهة مشكلات الحياة ومتاعبها، فأصبحت صفة التشاؤم والسخط والثورة والملل والتمرد ونبذ الحياة وأوهامها.....صفات ملحوظة وواضحة في قوله: (إني لأبكي ابتسامًا- رواية العيش عفنا اليوم مشهدها- سئمت دنياي- تشابهت سبل الأيام- حادثات الدهر تحرمني- والأقدار تسخر بي.....)

(١) الديوان « في تيه الحياة » ، ص ١١٤ .

(٢) أقفرت: خلت، لسان العرب لابن منظور ج٥ ص١١٠ .

(٣) الديوان « في تيه الحياة » ، ص ١١١.

(٤) صفرت : خلت . لسان العرب لابن منظور ج١/٧٩٧

فهو بالنسبة للشاعر زمن محزن ومؤلم، فهذه الأبيات وغيرها استطاعت تصويره بكل أشكاله بدقة وإحساس مرهف وعالٍ.....

ثالثاً : الحذف :

ظاهرة نصية، وفي الوقت نفسه أداة لغوية، إلا أنها تنصب في باب الانسجام حتى قيل : «من دقائق اللغة، وعجيب سرها، وبديع أساليبها، أنك قد ترى الجمال والروعة تتجلى في الكلام إذا أنت حذفت أحد ركني الجملة أو شيئًا من متعلقاتها، فإن أنت قدرت ذلك المحذوف وأبرزته صار الكلام إلى غث سفساف ونازل ركيك لا صلة بينه وبين ما كان عليه أولًا »[١] فالحذف يقوم بدور معين في اتساق النص وانسجامه، وهو عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص[٢]، ومن أمثلة الحذف قول الشاعر[٣] عن القلب [من البسيط] :

قَد كانَ بين ضلوعي خافق غَرد[٤] ∴ مشتتٌ بين أفراحِي وأحزانِي

يَهوى الجمالَ ويَحيا في خمائِلِه[٥] ∴ ويَعشقُ الحبَ في سرٍ وإعلانِ

حذف الشاعر « القلب» في قوله « كان بين ضلوعي – يهوى الجمال ويحيا في خمائله – ويعشق الحب » حيث يتحدث في هذه الأبيات عن الاضطراب

(١) علوم البلاغة البيان المعاني البديع تأليف أحمد مصطفي المراغي ص٨٩ دار الكتب العلمية بيروت– لبنان–الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ١٩٩٣م.

(٢) لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد خطابي ص٢٢.

(٣) الديوان « في تيه الحياة » ، ص ١٠٩ .

(٤) غرِد: رفَع صوتَه بالغِناء وطرَّب به، معجم اللغة العربية المعاصرة ج٢ص١٦٠٤

(٥) خمائلُ: شجر مجتمع كثير، معجم اللغة العربية المعاصرة ج١ص٦٩٩

الذي يعيشه قلبه ، فهو مشتت بين الأفراح والأحزان، وفي الوقت نفسه يهوى الجمال ويعشق الحب، فحذف «القلب» فيهما ليضعنا أمام الحدث مباشرة، واستبعاد ما ليس ضروريًا حتى يخبرنا بحالة التخبط والتشتت التي يعيشها قلبه، بالإضافة إلي أن المقام مقام حزن وأسي، فالشاعر لا يريد التصريح بقلبه، لأنه متوجع ومتألم مما يحدث له من التشتت والحيرة، وعدم الاستقرار علي حاله واحدة.

وقوله(١):

لا تنكر الحبَّ لولا الحب لانطمست ∴ هذي الفضائل من برٍ وإيمانِ

وقوله (٢) عن حرب الأقدار[من البسيط]:

الكونُ مجموع أضداد مقاتلة(٣) ∴ كَأنَّها في مجالِ الحرب خصمان

حَربٌ أعدت لها الأقدارُ عُدتها ∴ لغايةٍ خفيت عن كلِّ وجدان

حذف الفاعل المخاطب «أنت» في قوله «لا تنكر الحب» حتي يضع المتلقي المخاطب في صورة الحدث والاهتمام بما يمليه عليه، وهو عدم إنكار قيمة الحب في هذه الحياة فلولاه لانطمست الفضائل ، وكذلك حذف المبتدأ «هي أو هذه» في قوله« حرب أعدت لها» والتقدير هي أو هذه حرب أعدت لها الأقدار.... ليضع القارئ مباشرة أمام مراده، ويلفت انتباه إلي ما يريد وما تفعله الأقدار.

فالشاعر لجأ إلى الحذف في هذه الأمثلة وغيرها من أجل أن يجعل نصه متسقًا ومنسجمًا، فالحذف لا يتم إلا إذا كان الباقي من بناء الجملة مغنيًا في

(١) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص١١٠ .

(٢) الديوان « في تيه الحياة »، ص ٥٥ .

(٣) ضدّ الشَّخص أو الشَّيء: خلافه، معجم اللغة العربية المعاصرةج٢ص١٣٥١.

الدلالة، كافيًا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر؛ لأن هناك قرائن معنوية ومقالية تومئ إليه، وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره[١] .

رابعاً : الوصل ـ أو الربط :

الوصل من وسائل التماسك النصي، وتأتي أهميته من كون النص عبارة عن مجموعة من الجمل، أو المتواليات المتعاقبة، وأنه لا بد لكي تدرك كبنية متماسكة من توفر أدوات رابطة، تفرض كل نوع منها طبيعة العلاقة بين الجمل[٢]، إذ يعد الربط أو الوصل عن طريق الأدوات المختصة ، عامل انسجام أساسيًا، بما يتيحه من تقوية العلاقات الجميلة، وتمتين التماسك بين المتواليات النصية[٣] ، ومن أمثلة الوصل الدالة على تماسك النص قوله [٤] يشكو من الدنيا وما تفعله الأقدار به [من البسيط]:

إنِّي لأحلمُ والدنيا تُحاربني ∴ بعالمٍ في ظلالِ الحبِ نورانِي

تَرى الرجالَ أفانينًا مؤلفة ∴ خَلت بهِ منْ عَداواتٍ وأضغانِ

الحبُ يَصدع فيهم ثم صدحته ∴ والدهرُ يجري على رفقٍ وتحنانِ

إنِّي لأحلمُ والأقدارُ تسخرُ بي ∴ بِجنةٍ نُزِّهتْ عنْ كلِّ عدوانِ

(١) ينظر: بناء الجملة العربية : محمد حماسة عبد اللطيف ، ص ٢٥٩ ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ٢٠٠٣م .

(٢) ينظر : مدخل إلى علم النص : محمد الأخضر الصبيحي ، ص ٩٤ .

(٣) الديوان « في تيه الحياة »، ص ٩٦ .

(٤) الديوان « في تيه الحياة » ، ص ١١١ .

مَا لي وللحلم الفضي قَد صفرت ∴ نَفسي وروحي منْ أفراحِ أزمانِي

استخدم الشاعر حرف العطف (الواو– وثم)، بين الجمل والمفردات في قوله: (إني لأحلم والدنيا تحاربني – عداوات وأضغان – الحب يصدع فيهم ثم صدحته – والدهر يجري – إني لأحلم والأقدار تسخر– ما لي وللحلم – نفسي وروحي) رغم استقلال كل جملة ومفردة عن الأخرى في المعاني إلا أنهما في الوقت ذاته منسجمة معها دلاليًا، فحديث الشاعر عن الدنيا والأقدار وما تفعله معه من محاربته حتى في أبسط حقوقه وهو الحلم ، استدعى الشاعر في بيان الفرق بينه وبين غيره من الرجال أو الناس الذين خلت حياتهم من العداوات والضغائن وساد الحب بينهم، ثم يختم أبياته بأن هذه الأحلام ليست من حقه ، فقد خلت نفسه وروحه من هذه الأفراح منذ زمن، فهذا المعنى المقصود لا يتم إلا بأحد أدوات الوصل الدالة على انسجام المعنى .

وكذلك قوله [١] عن تنازع الناس وعيشهم في وهم في هذه الحياة [من البسيط]:

تَنَازعَ الناسُ من قدمٍ وضللهم ∴ سَرابُ دهرِ تَغُرُّ العين رؤياه

الوهمُ يهديهم حينًا وآونة ∴ تَرمي بهم في جحيمِ الحربِ كفّاه

مَالٌ وجَاهٌ وأوهامٌ وسَفسطةٌ[٢] ∴ ومَنطقٌ خادعٌ للناسِ مرآه

فَاهوا بعلم ولو يَدرون ما نطقت ∴ بهِ مذابح العلم مَا فَاهوا

(١) الديوان « في تيه الحياة » ، ص ٥٧ .

(٢) سفسط الشَّخصُ: غالط في جداله وأتى بحكمة مضلِّلة، جادل بالخطأ والتضليل، معجم اللغة العربية المعاصرة ج٢ص ١٠٧٣.

كلٌّ يقاتلُ أو يَفنى بِحومتِه ∴ والدهرُ يسخرُ منه حِين أفناه

إنَّا لندعوهم للحقِ واضحةٌ ∴ أعلامهُ حَيث لا مَالٌ ولا جَاه

أيضًا استخدم الشاعر أسلوب العطف بين الجمل والمفردات في قوله : « من قدم وضللهم – الوهم يهديهم حينًا وآونة – مال وجاه وأوهام وسفسطة ومنطق خادع – فاهوا بعلم ولو يدرون – كل يقاتل أو يفنى بحومته والدهر – لا مال ولا جاه» رغم استقلال كل مفردة وجملة عن الأخرى في المعنى إلا أن بينهما تلاحمًا وتجانسًا وانسجامًا في الدلالة ، فحديثه عن تنازع الناس في هذه الحياة والقتال من أجلها، استدعى أن يبين أن هذا التنازع ما هو إلا وهم قد يهديهم حينًا، وفي الحين الآخر يرمي بهم في جحيم الحرب، وتنازعهم على المال والجاه ما هو إلا أوهام، فعليكم بالعلم فهو السبيل الوحيد للنجاة من هذه الدنيا الفانية، وفي الختام يدعوهم إلى الحق ، لأن أعلامه واضحة، لا مال ولا جاه .

وقوله أيضًا [١] في حث الناس على السعي إلى الحب والحق : [من البسيط] :

فاسْعوا إلى الحبِ واسْتعجلوا محاسنَهُ ∴ واسْعوا إلى الحقِ واسْتوحوا وصَاياه

عطف الشاعر بين الجمل في قوله : (فاسعوا إلى الحب واستعجلوا – محاسنه واسعوا إلى الحق واستوحوا) رغم اختلافهما في المعنى، ليبين مكانة الحب والحق بين الناس، وما يترتب عليهما من آثار حسنة.

(١) الديوان « في تيه الحياة » ، ص ٥٨ .

خامساً : التكرار :

التكرار أيضًا شكل من أشكال الانسجام النصي، ويتمثل في تكرار كلمة أو جملة ، بحيث يحدث قدرًا كبيرًا من الانسجام والتآلف بين عناصر النص ومكوناته، ويسمح بالاستمرار في بنائه، الأمر الذي يجعل من النص وحدة منسجمة ومتسقة(١).

هذا ولم تقتصر وظيفة التكرار على إحداث الأثر الصوتي والإيقاع الموسيقي، بل هو يسهم في دعم الدلالة التعبيرية، وإبرازها في النص، فهو « من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدي في القصيدة دورًا تعبيريًا واضحًا، فتكرار لفظة ما أو عبارة ما، يوحي بشكل أوَّلي بسيطرة هذا العنصر وإلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره ، أو لا شعوره، ومن ثم لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظة لأخرى»(٢).

وقد كان للتكرار أثر كبير في ترابط وانسجام النص ، ومن ذلك قوله(٣) [من البسيط]:

مَا لي أرى الفكرَ تحدوني هدايته ∴ إلى ظلامٍ ضرير النور مدجان(٤)

اتْخذّته لي نورًا اسْتضيء بهِ ∴ في حيرتِي فإذا بِالنورِ أعمانِي

(١) ينظر: مستويات البناء الشعري عند محمد إبراهيم أبو سنة – دراسة في بلاغة النص: د/ شكري عبد المجيد أحمد الطواسي ، ص ١٠٧ سنة ١٩٩٥م .

(٢) عن بناء القصيدة العربية الحديثة : علي عشري زايد ، ص ٥٨ ، مكتبة ابن سينا – الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

(٣) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ١١٢ .

(٤) مدجان : الظلام . لسان العرب لابن منظور ج١٣/١٤٨

أمات مني حياة بين جانحتى ∴ خلقت منها مسراتِي وأشجانِي؟

لا ليس فكري وإن طَابت مواردُهُ ∴ يومًا ليمنعَ عنِّي ورد إيمانِي

لا ليس فكري وإن ضاءت كواكبُهُ ∴ يَومًا ليحجبَ عني شمس وجدانِي

لا ليسَ بحثي وتنقيبي وتجربتي ∴ تصمُ أذني عن أصداءِ ألحانِي

فالشاعر في هذه الأبيات بين أن فكره الذي اتخذه ليستضيء به من عناء وتعب وقلق هذه الحياة الدنيا يقوده من النور إلى الظلام والعمى، ولكن هذا لم يدعه يستغرق ويستسلم لهذا التفكير، ويمنع عنه إيمانه بالله، أو يحجب عنه ضوء الشمس ، فتكرار قوله : « لا ليس فكري ... » جعل من النص تماسكًا وانسجامًا مع الأفكار الواردة في نص القصيدة ، وبيان غرض الشاعر، وأن تكرار هذه الجملة له هدف نبيل عند الشاعر، لأنه يرمي من ورائه إلي أن فكر الإنسان هو القائد الأول له في هذه الحياة الدنيا، فإذا صح فكر الإنسان صحت حياته وإذا ضل فكر الإنسان ضلت حياته، وأصبح كالبهائم، بل هو أضل﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [١] ولذلك مدح الله الإنسانية بقوله: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾[٢] يميز طريق الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والرشد من الغي.

ومن التكرار قوله [٣] مخاطبًا قلبه المكسور والموجوع من هذه الحياة [من البسيط]:

(١) سورة الفرقان: ٤٤

(٢) سورة القيامة ١٤

(٣) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ١١٣ .

يَا قلبُ فالهُ كما يلهون واغدُ كما ∴ يغـدون وانْعـم بِأوهـامٍ وبهتـانِ

واخدَعْ حياتَك فالأيامُ تخدعُنا ∴ واضحكْ وكن وثنا ما بين أوثانِ

مَاذا يفيدك من شكٍ وفلسفةٍ ∴ مَاذا يفيدك من علمٍ وبرهانِ؟

مَاذا يفيدك من ليلٍ سَريت به ∴ وأنت تظلعُ من رزءٍ وحرمان؟[1]

مَاذا يفيدك من يومٍ تسيرُ بهِ ∴ يحار فكرُك في شكٍ وإيمانِ؟

إن كَان آخرنا قبر سيجمعنا ∴ فالعلمُ والجهلُ في الميزانِ سيَّانِ

يخاطب الشاعر في هذا النص قلبه خطاب الموجوع المنكسر والمهزوم الذي يئس من هذه الحياة، بأن يلهو ويلعب ، وينعم بالأوهام، وأن يخدع حياته كما تخدعه الأيام؛ لأنه لن يستفيد من الشك والعلم والبرهان ، ومن التناحر بالليل والنهار لإثبات خلاف ما يتوقع، لأن آخرنا قبر سيجمعنا ، ويستوي في الميزان العلم والجهل، فالشاعر كرر جملة الاستفهام في قوله : « ماذا يفيدك » أكثر من مرة، لإثبات مقصوده، والغرض من تكرار هذه الجملة الاستفهامية التنبه، والاستيقاظ والوقوف مع النفس، وبيان حقيقة هذه الدنيا الفانية؛ لكي يرجع الإنسان إلي رشده وصوابه، ويتعامل مع الدنيا بكل بساطة، ويسلم أموره كلها لله، مما نتج عن ذلك انسجام وتآلف في المعنى الذي يقصده ، وإن كنت اختلف معه في قوله « فالعلم والجهل في الميزان سيان»،

(١) يظلع : يعرج في مشيه . لسان العرب لابن منظور ج٨/٢٤٣.

فهـذا لا يصـح لقـول الله: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١).

وقوله (٢) في بيان تناقض الدنيا [من البسيط]:

تَناقضتْ هذه الدنيا فهل قبسٌ ∴ من عالمِ الفكر يَهدينا بهِ الله
إن سرت في بحرِها أبدى مجاهله ∴ يَصدني منه أمواجٌ وأمواه
أكلما قَدْ عرفنا منه خافية ∴ إذ بنا قد نسينا ما عرفناه
أكلما قَد وصلنا غاية خفيت ∴ وجدتُ شَيئًا ضَئيلاً ما وصلناه
مَا أولُ العيشِ في الدنيا ومنشأها ∴ مَا آخرُ العيشِ في الدنيا ومنحاه(٣)

يتحدث الشاعر عن المتناقضات التي تحدث معه في هذه الحياة ، وجهله ببحرها، كلما عرف عنها خافية نسى ما عرفه، وكلما وصل إلى غاية أو هدف وجده ضئيلًا أو قليلًا، فكان لتكرار قوله : « أكلما قد عرفنا – أكلما قد وصلنا – والدنيا » أثر كبير في انسجام النص وبيان مقصود الشاعر من هذا التكرار .

من هنا ندرك أن النص ليس تركيبًا لغويًا عشوائيًا، وإنما هو بناء حصيف يخضع لمعايير عديدة، والإخلال بأحد هذه المعايير يجعل هذا البناء يختل بسبب فقدانه لأحد المقومات؛ لأنه شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل علي إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر.

(١) سورة الزمر : من الآية (٩) .
(٢) الديوان : « في تيه الحياة» ، ص ٥٤ .
(٣) المنحاة: مسيل الماء إذا كان ملتويًا، لسان العرب لابن منظور ج١٥ص٣١٣ .

✍ المطلب الثاني: انسجام الألفاظ في القصيدة

لا شك أن اللغة تبوأت مكانة عالية حتى أصبحت جزءًا من مرتكزات الفكر، ووسيلة من وسائل التواصل والمعرفة ونقل الأفكار والمفاهيم ، حتى قيل: إن النص « يتألف من كلمات وحروف يتم نسجها بالكتابة نسجًا يدل على الانتظام والانسجام والتعقد والتشابك، والنص لا يكون نسيجًا بالكتابة، فالأصوات والكلمات تبقى تفتقر بمعنى النسج حتى تكتب»[١] .

إذًا الكتابة تمنح النص شكله الظاهري، فالنسيج يدل على السطح الظاهري للنتاج الأدبي، والنص يدل بدوره عليه فهو «نسيج الكلمات المنظومة في التأليف، والمنسقة بحيث تعرض شكلاً ثابتًا ووحيدًا ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً »[٢] وبالنظر إلى الألفاظ التي جاءت في قصائد « في تيه الحياة » نجد أنها اتسمت إلى حد كبير بالانسجام ، وهي على النحو الآتي :

١ ـ ألفاظ سهلة وعذبة ومألوفة :

الناظر في ألفاظ الشاعر محمد قرنه في قصائده « في تيه الحياة» يجد أنه اختار ألفاظه بعناية فائقة، حيث اعتمد على الألفاظ السهلة المألوفة لدى الجميع، والتي تنأى عن الغرابة والتعقيد، وفي الوقت نفسه لا تصل إلى حد العامية أو الابتذال، ويقصد بالسهولة : أن تتخير من الألفاظ أرقها مسلكًا وأحسنها قبولاً

(١) التفاعل النصي – التناصية النظرية والمنهج : نهلة فيصل الأحمد ، ص ٢٩، الطبعة الأولى، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة سنة ٢٠١٠م .

(٢) ينظر : دراسات في النص والتناصية : محمد خير البقاعي ، ص ٢٦ ، مركز الاتحاد الحضاري، حلب ، طبعة أولى سنة ١٩٩٨م .

وأجودها وقوعًا [١] وقيل:« النمط الأوسط المرتفع عن السوقي ، النازل عن البدوي الوحشي»[٢] ، وتبدو هذه الظاهرة واضحة «في تيه الحياة» ومن ذلك قوله[٣] عن أهمية الحب في هذه الحياة الدنيا [من البسيط]:

الحبُّ عنوانُ مَا في الكونِ من أملٍ ∴ إلى الكَمالِ بِهذا العَالمِ الفاني
لولاه مَا عرفَ الإنسانُ منْ قدمٍ ∴ مَا شأنه منْ ضلالاتٍ ونقصان
لا تنكر الحبَّ لولا الحبُّ لانطمست ∴ هذي الفَضائل منْ برٍ وإيمانِ
لو أنَّه عمّ في الدنيا لما وجَدت ∴ تلك النقائص منْ بغضٍ وعدوانِ

يتحدث الشاعر عن الحب وأهميته في هذه الحياة، وقيمته من قديم الزمان، وما له من فضائل، في لغة سهلة واضحة قريبة إلى المتلقي منسجمة مع المعنى الذي أراده، موافقة لنقل شعوره وإحساسه ، مثل قوله : « الحب – عنوان – العالم – الفاني – الإنسان – قدم – لا تنكر – لانطمست – بر – إيمان – عم – وجدت – عدوان ... » مع عاطفة صادقة تصل إلى المتلقي ، وتنفذ إلى روحه وعقله.

وقوله[٤] في بث شكواه وقسوة الحياة، وضيق نفسه القلقة، واضطراب فكره [من البسيط]:

يَا تيه ضلّت بِي الأفكار وانْطفأت ∴ مشاعلي بين آكامٍ ووديانِ[٥]

(١) ينظر : رسائل الجاحظ : عمرو بن بحر بن محبوب الشهير بالجاحظ ٢٢٦/٤ ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، سنة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .

(٢) ينظر : الوساطة بين المتنبي وخصومه : للقاضي الجرجاني ، ص ٢٤ ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بدون تاريخ .

(٣) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص١١٠ .

(٤) الديوان « في تيه الحياة ، ص ١١٣ – ١١٤ .

(٥) آكام : الغابات الملتفة . ينظر: لسان العرب لابن منظور ج٢٠/١٢

يحيطُ بِي من ظلامٍ لا يبددُهُ ∴ أنوار منْ سلك البيضاء خدنان
سَريتُ فيك وقلبي بين أضلعِهِ ∴ مُقسمٌ بين أفراحِي وأحزانِي
بقيةٌ بين فك الموتِ جائلةٌ ∴ هو الحياةُ بجسمي العامد الفاني
قَدمتُهُ بالذي يحويه منْ عمرِي ∴ ومن حَياتِي قُربانًا لأوثاني
قَدمتُهُ فديةً غراء[١] طاهرة ∴ منْ أَجل ربي وإيمانِي وأوطانِي

فالشاعر هنا مضطرب الفكر، قست عليه ظروف الحياة لا يجد طيبها ، يحيط به الظلام من كل مكان ، قلبه مقسم بين الأفراح والأحزان ، مقدمًا حياته الباقية فدية من أجل ربه وإيمانه وأوطانه؛ لأن الموت في هذه الحياة ليس له أمان، ومن يتأمل هذه الأبيات يجد الشاعر يركن إلى الألفاظ القريبة المباشرة المنسجمة ليعبر بها عن الحالة التي يعيشها من ذلك قوله : «الأفكار – مشاعلي – يحيط – ظلام – أنوار – مقسم – أفراح – أحزان – بقية – الحياة – جسمي– قدمته – عمري – حياتي – ظاهرة – ربي – إيماني – أوطاني....» كما يلحظ العاطفة الصادقة التي تصل إلى وجدان المتلقي وتتغلل في عقله، كل ذلك من انسجام الألفاظ في بيان غرض الشاعر.

ومن الانسجام في الألفاظ قوله [٢] أيضًا عن الحق والحب وعن أهميتهما في حياته [من البسيط]:

الحقُّ يَجلو لنا الدنيا فنبصرها ∴ كَالنورِ في الليلِ يَجلو منه أخفاه
الحقُّ ينشدُهُ فكري ويعشقُهُ ∴ والحبُّ يطلبُهُ قلبي ويهواه

(١) غراء: جميلة، معجم اللغة العربية المعاصرة ج٢ص١٦٠٦ .
(٢) الديوان : « في تيه الحياة» ، ص ٥٧ .

الحقُّ يَجلو لنا الدنيا بمشعلِهِ ∴ والحبُّ يَنفثُ فيها السحر رَباه[١]

إنَّ الغرامَ يُرينا الكون مُنتشيًا ∴ كأنَّما السحبُ الغراء مسراه

كَأنَّه من عبيرِ الزهر نفحتُهُ ∴ كَأنَّه من بهيجِ النورِ مرآه

الحقُّ والحبُّ ديني أجتلي بهما ∴ وجهُ الحياةِ وأجلو من خفاياه

من يقرأ هذه الأبيات التي يتحدث فيها الشاعر عن الحق والحب وأهميتهما في حياته يجد سلاسة في ألفاظها، وعذوبة في معانيها، ورقة في أصواتها، منسجمة مع الغرض الذي يقصده ، بعيدة كل البعد عن الغرابة والغموض، لا تحتاج إلى الرجوع إلى كتب المعاجم لمعرفة معناها، وليتأمل قوله : «الحق – فكري – يطلبه – قلبي – الدنيا – مشعله – الغرام – السحر – السحب – النور – عبير – الزهر ...» كما أنها ملائمة ومناسبة للمعنى الذي يتحدث عنه الشاعر، وهو إظهار أهمية الحق والحب في حياته .

٢ ـ الدقة في اختيار الألفاظ :

بمعنى أن يختار الشاعر لفكرته كلمات تلائم المعنى، بحيث تعبر كل لفظة عن شعوره وتكشف الخيال الذي يتراءى له، وتتفق مع الزمن الذي يسجله ، وتنسجم مع التركيب الذي تقع فيه [٢] ، وأن يختار الأديب من « الألفاظ أدقها تعبيرًا عن المعنى الذي يجول في نفسه، فإذا لم يحسن الأديب اختيار كلماته عد

(١) ينفث: ساحر، مَنْ يقوم بأعمال السِّحر، معجم اللغة العربية المعاصرة ج٣ص٢٢٤٧

(٢) ينظر: اتجاهات النقد الأدبي : د/ محمد السعدي فرهود ، ص ١١٣ ، طبعة سنة ١٩٧١م ، بتصرف .

ذلك عيبًا »[١]؛ وذلك لأن بعض الكلمات وإن اتفقت في المعنى إلا أن هناك بعض الفروق الدقيقة التي تجعل هذه الكلمة أنسب وأدق من غيرها، وإذا أنعمنا النظر في مفردات الشاعر نجد أنه اختار مفرداته بعناية كبيرة للتعبير عما في نفسه من معان وأفكار ومشاعر، بالإضافة إلى أنها جاءت خالية من التعقيد والتقعر ... حتى تؤدي المعنى المقصود على أكمل وجه ، ومن أمثلة ذلك قوله [٢] في كراهية الدنيا الخالية من الحب، ومعاشرة أقوام عقولهم مثل عقول البهائم [من البسيط]:

سَئمتُ دنياي مَا لمْ يُحيها قبسٌ ∴ منْ عَالمِ الحب يسمو بي لدنياه

وعفتُ قَومًا بها عَقوا قلوبهم ∴ لهم منْ البهمِ أمثالٌ وأشباه

نَرى عَليهم سمات الموتِ واضحة ∴ والحيُّ منهم قليلٌ حين تلقاه

قَالوا القلوبُ تعادينا فقلتُ لهم : ∴ قَدْ ذلَّ من قلبهِ في العيشِ عاداه

ظنَّوا الحياةَ حطام المال تجمعُهُ ∴ إنَّ الحياةَ لإحساس تلقاه

أين الطعامُ وأين المالُ من ملأ ∴ هفت[٣] قلوبهُمُ للحبِ تهواه؟

أين الطعامُ وأين المالُ منْ ملأ ∴ رَوى قلوبهم منْ نورهِ الله؟

سَقاهم الحب خمر الروحِ صافية ∴ فهم بِها في سماءِ الروحِ قد تاهوا

(١) الفن الأدبي: د/ غازي يموت ، ص٤٢ ، دار الحداثة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م .

(٢) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ٥٤ .

(٣) هفت: تحير، معجم اللغة العربية المعاصرة ج٣ص٢٢٥٤ .

أنتم جسومٌ كعيشِ البهمِ عيشكُم ∴ وهم بنو الخلدِ قَد هاموا برياه

إليكم عَشي القلب الطهور بِكم ∴ وحَجبت عن ضياءِ الشمس عَيناه

يتحدث الشاعر عن عدم حبه لدنيا خالية من الحب، مع أقوام عقولهم مثل عقول البهائم، عليهم سمات الموت واضحة، إلا القليل منهم، لذلك نجده اختار عباراته بعناية فائقة لتدل علي دلالات معينة، مثل قوله: «سئمت دنياي– ما لم يحيها قبس– عفت قومًا » للدلالة على شدة كرهه للحياة الخالية من الحب، والقوم الذين لهم عقول مثل عقول البهائم، ولا يخفى اقتباس قوله : « عفت قومًا بها عقول قلوبهم لهم من البهم أمثال وأشباه ، من قول الله – تعالى﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (١) وتأمل اختياره للفظة« قبس» أي ليس فيها أدني أمل من الحب، وليس فيها ذرة من الحب الذي تسعد به النفس البشرية، وتقاوم مشكلات الحياة وهمومها، وكذلك اختياره لجملة «عقوا قلوبهم.... » وكأن الجميع بلا استثناء عقوا قلوبهم، وهذا يزيد من كراهية الشاعر لدنياه، ثم انظر كيف بين أن ذل القلب في عدائه للعيش في قوله : « قد ذل من قلبه في العيش عاداه » واختار القلب؛ لأنه مركز الإحساس ، وكرر الاستفهام في قوله : «أين الطعام وأين المال من ملأ » لبيان أن ملذات الدنيا من الطعام والمال بنسبه لأناس لا تمثل لهم شيئًا، لأن قلوبهم عامرة بنور الله تهوى الحب وتعشقه، وفي قوله : «وظنوا الحياة حطام المال تجمعه» بيان أن الحياة ليست لجمع المال، إنما الحياة شيء أسمى وأقدر من ذلك بكثير مستحيل أن يدركه الإنسان، ثم انظر إلى التشبيه في قوله : « أنتم جسوم كعيش البهم عيشكم» حيث

(١) سورة الفرقان : الآية (٤٤) .

شبه حياة جسومهم بعيش البهائم، بجامع عدم الغاية والهدف في كل، فالبهائم ليس لها هدف، وإنما تأكل وتشرب فقط بدون مقصد، ولقد اختار الشاعر عناصر الصورة التشبيهية بعناية تأمل اختياره للمشبه «جسوم» وكأنها مجردة من العقل أجساد فقط بل عقل، أضف إلي ذلك ضمير الجمع الذي سبق المشبه «أنتم» وكأن الجميع اتصف بهذه الصفة، ثم اختار المشبه به بدقة «كعيش» وهذا يعود أثره علي المشبه أي عيشكم كعيش «البهم» هل هناك ضلال وذم أكثر من ذلك، وأكد على هذه العيشة المهينة بقوله « عيشكم»، هكذا تجانست وانسجمت كل كلمة أو لفظة مع اختها في بيان أصناف الناس في هذه الحياة، فمنهم من تملكه حبها، ومنهم من لا تمثل له شيء .

وقوله [1] في بيان حبه لله [من البسيط]:

الروحُ والعقلُ ربي أستكينُ له ∴ حبًا وأرجو لديه كلّ إحسانِ

إذا غرقتُ ببحرِ العيش واصطخبتْ ∴ أمواجُ دهري فكف الله نجانِي

وإنّ ضللتُ بتيه العيشِ يغمرُني ∴ فَقدْ تَخَذْت لتيه العيشِ إيمانِي

إنْ كَلَّ عقلي وخانتني كواكبه ∴ فإنَّ عاطفتي في العيشِ معوانِي

يَا ناي قلبي لا تخمد ففي أُذني ∴ شَوقٌ إلى عَذبِ أنغام وألحانِ

في هذه الأبيات نجد الشاعر انتقى ألفاظه بعناية فائقة لتنسجم مع الحالة التي يعبر فيها عن حبه لله، فقد اختار التعبير بـ «الروح والعقل» للدلالة على الإخلاص والتمكن من حب الله، وفي قوله : « إذا غرقت ببحر العيش » في ذلك

(١) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ١١٢ .

دلالة على الانهماك والغرق في ملذات الحياة، ورغم قسوة الحياة إلا أنه يعود بقوله : « فكف الله نجاني» مجاز مرسل أي قدرة الله لامتناع أن يكون لله جارحة مثل البشر، والعلاقة السببية؛ لأن الكف سبب والقدرة مسبب، فعبر عن المسبب وهو القدرة بالكف وهي السبب، ثم انظر إلى الألفاظ التي اختارها للتعبير عن قسوة الحياة « غرقت – اصطخبت أمواج دهري – ظللت بتيه العيش » وعبر بالمضارع في قوله : « يغمرني ...» للدلالة على التجدد والاستمرار في رعاية الله وأمنه، وفي التعبير بياء المتكلم الممتزجة بجوارحه في قوله : «عقلي – عاطفتي – يغمرني قلبي – معواني – أذني» إفادة الوحدة والحزن المسيطر عليه، وكأنهما شيء واحد.

قوله [١] في تقديس الحب الحقيقي الشريف الخالي من الخداع والزيف: من البسيط

ليلاي أي بلاد الله موطنها ؟ ∴ فَقيسها تائه التفكيرِ مضناه

إنَّ ابتسامًا على الأفواه يخدعني ∴ أين ابتسام علي الأفواه أهواه

إنِّي لأبحثُ عن ليلى لتشرقَ لي ∴ فجرًا على القلبِ يهديه ويرعاه

أَرى بِها العيشَ مثل الخلد متشحًا[٢] ∴ ويبرقُ النور فتانًا بمرآه

أذيب قَلبي دموعًا حين تغضبهُ ∴ واترع[٣] القلب بشرًا حين ترضاه

وأجعل القلبَ فيها مجمرًا عبقًا ∴ يفوحُ بالشعرِ إن هَاجت حَناياه

(١) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) متشح: مُغطًّى مَكْسُوّ ، معجم اللغة العربية المعاصرة ج٣ص٢٤٤٤ .

(٣) اترَّع الإناءُ: امتلأ، معجم اللغة العربية المعاصرة ج١ص٢٩٠ .

عندي القريض[١] وفيها الحسن أجمعه ∴ إنَّ القريضَ صَدى منه ومعناه

تجاوروا منذ آباد الزمان وقد ∴ سقتهما من معين الروح أمواه

فكيفَ تبعدُ لحنًا عن ملحنِهِ ∴ وهل يفارقُ زَهرًا طِيب رِياه

فالشاعر نراه في هذه الأبيات يبحث عن حب شريف عفيف خالٍ من الخداع، فاختار كلماته بعناية للتعبير عن هذه الحالة سواء في اختياره لقصة من قصص العشاق وهي «قيس وليلى» وتشبيه نفسه بقيس وحبيبته بليلى ، ثم انظر إلى الجناس في قوله : « الأفواه – أهواه » وما يحدثه من أثر تناغمي في نفس القارئ أو السامع، ثم انظر إلى الألفاظ : (تائه – مضناه – إني لأبحث – أذيب قلبي – دموعًا) وهي ألفاظ تعكس آلامه وأوجاعه في البحث عن حب حقيقي ، وأخيرًا لم يركز الشاعر على إظهار محاسن محبوبته الجسدية، إنما اعتمد على إظهار حب حقيقي خال من الخداع والزيف، وذلك ما نلاحظه من الاستفهام في قوله : «أين ابتسام على الأفواه أهواه » وقوله : «إني لأبحث عن ليلي لتشرق لي فجرًا – أذيب قلبي دموعًا » .

٣- استخدامه لألفاظ الطبيعة:

غلب علي القصيدة استخدام الشاعر لمفردات الطبيعة لتشكيل رؤيته الشعرية، وهذا ينم علي أنه فتن بجمال الطبيعة حيث امتزجها في شعره بحجة هروبه إليها لكي يبث آماله، وأحلامه، وآلامه، وأحزانه... إليها، فهي(جزء من

(١) القريض: قواعد نظم الشِّعْر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ج٣ص١٨٠٠ .

العالم قادر علي أن يحرك في الإنسان إحساسه الفني) [١] ومفردات الطبيعة تنحصر عند الشاعر في ألفاظ تتكرر في أغلب القصيدة مثل (الكوكب – الشمس – القمر– النار– البحر– النجوم – السحب – السماء– البدر– الليل.....)،

ومن ذلك قوله[٢] يخاطب الكواكب والنجوم من أجل البحث عن محبوبه: من البسيط البسيط

يَا أيها الكوكبُ المنشود مقدمه ∴ أضئ لِي القلبَ إنَّ الليلَ يَغشاه

حَباك ربك نورا تستضيء بهِ ∴ أضئ فؤادي بما أعطاكه الله

يَا أيّها الحبُ هل نور يكشفُ لي ∴ مَا يذخر الكون من أطيابِ نعماه[٣]

مَا زلتُ أطلب بَدرا منك مطلعه ∴ حتي كبرت ولم أشهدْ محياه

مَا زلتُ أطلب بَدرا أستضيئ بهِ ∴ فَشاخ[٤] قَلبي ولمْ أنعم بمرآه

مَنْ لي بكأسِك تَرويني وتبعثُ لِي ∴ قلبًا بِأضلعهِ كنَّا دفناه

كَأنَّما صَدرهُ المُلقي بهِ قفص ∴ فأحطمه إن أسارَ القيدُ أضناه[٥]

(١) المعجم الأدبي جبور عبد النور ص١٣٦ دار العلم للملايين بيروت – لبنان ط١ سنة ١٩٧٩.

(٢) الديوان : « في تيه الحياة» ، ص ٥٣ .

(٣) أطياب: طِيب العيش: الحياة الحسنة، معجم اللغة العربية المعاصرة ج٢ص١٤٢٩

(٤) شاخ: قضى فيها وقتًا طويلاً، معجم اللغة العربية المعاصرة ج٢ص١٢٥٣

(٥) أضناه: عذبه، معجم اللغة العربية المعاصرة ج٢ص١٣٧٢

فالشاعر في هذه الأبيات يخاطب الكواكب والنجوم لعله يجد من بينها حبه وسلواه، وهو بهذا يهرب إلي الطبيعة من الحياة التي تموج بصراعات الأحياء، فيخاطب الكواكب مخاطبة الإنسان من أجل الحصول علي طلبه، وهو الحصول علي محبوبته تضيء له قلبه المظلم، وهذا من خطاب مالا يعقل، وهذه قضية شائكة تحدث فيها كثير من العلماء منهم من قال: إن القول حقيقي في الوجود، ومنهم من قال: لا قول هناك، بل جاء علي الأسلوب العربي: كقول الشاعر: من الرجز

امتلأ الحوض وقال قطني ∴ سلا رويدا قد ملأت بطني

ومنهم من قال: إنه لا خير في خطاب المعدوم؛ لأنه في علم الله موجود[١].

والمتأمل في هذه الأبيات يجده استعان في توضيح فكرته بعناصر الطبيعة، مثل الكوكب– والليل– والبدر– الكون....، وغير ذلك من الأبيات التي وردت فيها عناصر الطبيعة التي تنسجم مع مراده الذي يقصده.

هكذا يلعب اختيار الألفاظ دورًا مناسبًا في النص الشعري بما يحدثه من انسجام داخله، من هنا كان لابد من اختيار الألفاظ والكلمات المعبرة الموحية التي تهز الأعماق، وتسكن في القلوب والأرواح، والأقرب إلي المعنى المراد.

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي ج٢٧ص٩١– الطبعة الأولى – دار الكتب العلمية بيروت – ١٤١١هـ ١٩٩٠م، وتفسير الطبري ج١ ص ٤٠٤، والبيضاوي ضمن حاشية الشيخ زادة ج٣ص٤٧ .

✍المطلب الثالث: انسجام الصورة الفنية(١) في القصيدة

هي الجوهر الثابت والدائم في الشعر، وأحد المكونات الأصلية في بناء القصيدة، ولا يخلو عمل شعري من التصوير ، فهي لم تعد مجرد شكل يلجأ إليه الشعراء لتزيين القصائد، بل أصبحت جوهر الفن وذاته، والتعبير عن أفكارهم ووسيلة لتقريب المعاني، ذلك ما أشار إليه د/ طه وادي إلى أن الصورة « ليست زينة شكلية أو حلية مصطنعة، وإنما أداة أساسية لتوصيل الخبرة والتعبير عن الرؤية»(٢).

ولذلك لا بد أن تكون الصورة التي ينتجها الشاعر متسقة متآزرة، تتآلف على تصوير الحقيقة، يؤثر بعضها في بعض علي نسق واحد(٣) ومن الصور التي استعان بها الشاعر الصورة البيانية وهي التشبيه والاستعارة والكناية، للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه، والانسجام مع فكرته التي أراد توصيلها إلى المتلقي .

أولاً : الصورة الجزئية

أ- التشبيه :

يعد التشبيه من أغلب الصور البيانية جريًا في الشعر، فهو من أقدم صور البيان وأقربها إلى الفهم والأذهان، فائدته هي تقريب المشبه من فهم السامع

(١) الصورة الفنية هي: «الوسيلة الفنية التي يستطيع الشاعر من خلالها التأثير على قرائه وسامعيه ... من خلال عاطفته الجياشة، وخياله الخصب، وأسلوبه العذب، وتصويره الجميل» الأسلوب: أحمد الشايب ، ص ٢٣٤ ، طبعة المكتبة الفاروقية ، الإسكندرية .

(٢) جماليات القصيدة المعاصرة : د/ طه وادي ، ص ٢١٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٩٤م .

(٣) ينظر: النقد الأدبي الحديث : د/ محمد غنيمي هلال ، ص ٣٩٠ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ، أكتوبر ١٩٩٧م. بتصرف

وإيضاحه له [١] لذا فقد اعتمد عليه الشعراء للتعبير عن مكنوناتهم ونقل مشاعرهم وإبرازها خاصة أنهم أدركوا أنه من أهم عناصر الصورة لما له من فضيلة مرموقة، حيث يخرج المعقول في صورة المحسوس، ويجعل الخفي جليًا، والباطن ظاهرًا ، لذا قيل : « أحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد»[٢]، ومن صور التشبيه عند محمد قرنه ، قوله[٣] في التعبير عن حالة التخبط والإحباط الذي يشعر به : من البسيط

سرَّتُ في التيهِ لا أهفو إلى أحدٍ ∴ كَخاطرٍ في فيافِي الفكر حيرانِ

كَفكرةٍ في سوادِ القلب جَائلةٌ ∴ لا تستقرُ عَلى شكٍ وإيمانِ

فالشاعر هنا شبه حاله وما به من تخبط وعدم اعتماد على أحد في هذه الحياة بالرأي أو الأمر الذي يدور في فكره أو ذهنه وهو متحير فيه، ثم شبه حاله أيضًا بفكرة في سواد قلبه حائرة لا تستقر على حال، ووجه الشبه هو عدم الاستقرار في كل، وجاءت جملة المشبه مصوغة بالفعل الماضي في قوله : «سرت في التيه لا أهفو » لإفادة التحقق والوقوع ، وأن هذا الأمر خاص به دون غيره مما زاد عليه الألم ألمًا، وجاء بالمشبه به «خاطر» للدلالة على عدم الاهتمام به أو بأي شيء يخصه، وقيد المشبه به بقيدين لهما أثر واضح على صورة المشبه القيد الأول الجار والمجرور « في فيافي الفكر» والقيد الثاني « حيران» كل ذلك له دلالة

(١) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : لابن رشيق ٢٩٠/١ تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الجيل ، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٨١م .

(٢) نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، ص ١٢٤ ، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي ،دار الكتب العلمية بيروت– لبنان– بدون تاريخ .

(٣) الديوان : « في تيه الحياة» ، ص ١١٠ .

واضحة على صورة المشبه ، وهي حالة التخبط وعدم الاستقرار والإحباط، ثم شبه أيضًا حالته بفكرة وقيد المشبه به بجملتين الأولي في قوله « في سواد القلب جائلة » ، والثانية في قوله : « لا تستقر على شك وإيمان» كل ذلك حتى تؤدي المعنى المقصود في صورة منسجمة، ومتلائمة مع غرض الشاعر، التخبط وعدم الاعتماد علي أحد في هذه الحياة ، وهي تعتبر من الصور الجديدة التي استطاع الشاعر فيها التعبير عن حالة الإحباط التي يشعر بها .

وكذلك قوله[1] عن الحب :

الحبُّ طيرٌ بدنيا الروح صادحة ∴ له جناحان من نورٍ ونيرانِ

في هذا البيت يوظف الشاعر الصورة التشبيهية في إبراز قيمة الحب حيث شبه الحب وهو شيء معنوي بالطير وهو حسي ، ووجه الشبه الحرية والانطلاق والتنقل والجمال في كل، واختار الشاعر المشبه به «الطير» لأنه رمز الجمال والتفاؤل والخفة، والذي نعرف قيمته من خلال حديث النبي ﷺ : «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ، أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ» [٢] وجاء المشبه به مقيدا بقيود كثيرة: أولها « بدنيا الروح ثانيها« صادحة» ثالثها« له جناحان» رابعها « من نور ونيران» وكل هذه القيود لها أثر واضح علي صورة المشبه، للدلالة على الحرية والتحلق عاليًا في سماء الحرية بعيدًا عن الخلافات والقلق، ومشاكل وهموم الدنيا الفانية، كما أن لهذا التشبيه دورًا في رسم وبيان قيمة الحب .

وأيضًا قوله [٣] : من البسيط

(١) الديوان : « في تيه الحياة » ص ١١٠.

(٢) صحيح مسلم ١٢٨٣/٤ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) الديوان : « في تيه الحياة » ص ١١١.

نحن الشياه عصا الإقهار تدفعُنا ∴ أمامها في سبيلِ العالم الفانِي

حيث شبه جمع الناس في هذا العالم وتكالبهم عليه والانغماس في ملذاته بالشاة ، بجامع الاندفاع والهلاك في كل ، والمتأمل في هذه الصورة التشبيهية يدرك أن الشاعر بدأها بضمير المتكلم « نحن» ليدلل على أن الجميع في هذا العالم بهذا الوصف دون استثناء لأحد، واختار المشبه به بعناية حتى ينسجم ويلائم فكرته «الشاة» دون غيرها؛ لأن المعروف عنها الاندفاع دون تفكير، وهذا التشبيه حذف منه الوجه والأداة، وعضد المشبه بقيدين، الأول: الاستعارة، وهي قوله : «عصا الأقهار تدفعنا» والثاني الجار والمجرور في قوله : « في سبيل العالم الفاني » كل ذلك له دلالة علي الصورة التشبيهية، وهي أن الناس في هذه الحياة مثل الشاة في التهور والاندفاع في ملذاتها بدون تفكير.

ب: الاستعارة :

الاستعارة – الموضع الثاني – في رسم الصورة عند الشاعر، وهي لا تخاطب العقول بقدر ما تخاطب المشاعر والوجدان، لا تعتمد كثيرًا على حدود التشابه الضيقة، بقدر ما تعتمد على تفاعل الدلالات الذي هو– بدوره– انعكاس وتجسيد لتفاعل الذات الشاعرة مع موضوعها[١]، يقول عنها صاحب الوساطة هي: «أحد أعمدة الكلام، فعليها المعول في التوسع والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ، وتحسين النظم والنثر»[٢]

(١) ينظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : جابر عصفور ، ص ٢٠٥ ، مطبعة المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٩٢م .

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه : علي بن عبد العزيز الجرجاني ، ص ٤٢٨ ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم – علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ، بدون تاريخ.

ومن شواهد الاستعارة عند الشاعر قوله [١] في بيان حالته : [من البسيط]

مَا للسراب يناديني ويخدعُنُي ∴ مَا فيك يَا دهر إرواء لظمآن

في هذا البيت يشكو الشاعر حاله وما آل إليه في هذا الزمن من الحزن، حتى أنه لم يسلم من السراب، وهو شيء معنوي، فقد خدعه ولعب به ... وقد استعان في إيضاح غرضه بالاستعارات في قوله : « ما للسراب يناديني ويخدعني» والتي عملت على تشخيص السراب في صورة إنسان ينادي ويصدر منه خداع، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو النداء والخداع وذلك علي سبيل الاستعارة المكنية، والاستعارة الثانية في قوله : « ما فيك يا دهر إرواء لظمآن» حيث صور الدهر في صورة إنسان يخاطبه ويعاتبه، وذلك أيضًا علي سبيل الاستعارة المكنية، وآثر الشاعر الاستفهام، في قوله : « ما للسراب ....» للدلالة على أنه يخاطب غير عاقل «السراب » كما آثر التعبير بالمضارع في قوله يناديني – يخدعني ، للدلالة على أن النداء والخداع مستمر ومتجدد ، وجاء بقوله : «إرواء لظمآن» للتأكيد على عدم النفع حتى في أقل شيء وهو شربة الماء، فالاستعارات تجسد الحالة التي يشعر بها الشاعر في هذه الحياة.

وقوله [٢] في الحديث عن حرب الأقدار : من البسيط

حَربٌ أعدت لها الأقدار عدتها ∴ لغاية خَفيت عن كلِّ وجدان

والدهرُ يسخرُ والأيام دائرة ∴ والحربُ قائمة في كلِّ ميدان

يحاول الشاعر في هذين البيتين رسم ملامح الثورة المتمثلة في صراع الأقدار والدهر ، فاستعان في التعبير عن هذا الشعور بالصور الاستعارية في قوله:

(١) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ١١٣ .

(٢) الديوان : « في تيه الحياة» ، ص ١١١ .

«حرب أعدت لها الأقدار عدتها» حيث شبه الأقدار بإنسان، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو الاستعداد ، وكرر قوله «عدتها» لزيادة التأكيد على الاستعداد، وكذلك قوله: «الدهر يسخر» حيث شبه الدهر بإنسان، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو السخرية، وآثر التعبير بالجملة الاسمية «الدهر يسخر» دون الجملة الفعلية «يسخر الدهر» لإفادة أن الصورة مركزه ومثبتة على الدهر، كما آثر التعبير بالمضارع «يسخر» للدلالة على أن السخرية مستمرة ومتجددة ، وعضد الاستعارة بالكناية في قوله «الأيام دائرة» كناية عن صفة التحول والتغير، ومن جانب آخر كشفت الاستعارات عن الحالة التي يشعر بها الشاعر في نفسه من الألم والضجر .

وقوله [١]: عن عشقه للحب : من البسيط

مَا زلتُ أنشده والدهرُ يحرمني ∴ وابْتغي نورَه والليلُ يغشاني

هذا البيت أنشده الشاعر لبيان عشقه للحب في حياته، مستعينًا في توضيح فكرته بالاستعارات التي تنسجم مع غرضه في قوله «الدهر يحمني» حيث شبه الدهر بإنسان وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهي «الحرمان» التي هي من صفات الإنسان ، وجاء بالمضارع في قوله «يحرمني – ويغشاني» للدلالة على التجدد وجاءت الياء لتدل وتؤكد على ما يعانيه من ألم؛ حيث ينشد الحب، ولكن الدهر حرمه منه ومنعه إياه.

ج: الكناية :

قيل عنها إنها «تفيد الألفاظ جمالًا، وتكسب المعاني ديباجة وكمالًا، وتحرك النفوس إلى عملها، وتدعو القلوب إلى فهمها ، فإن أوقعتها في المدح كانت أرفع

(١) الديوان « في تيه الحياة » ، ص ١١٤ .

وأحسن، وفي نفس الممدوح أوقع وأمكن، وإن صدرتها للذم كانت آلم وأوجع، وإلى ذكر فضائح الذموم أسرع وأخضع»[١] .

ومن الكنايات الرائعة عند الشاعر محمد قرنه، والتي اعتمد عليها في تصوير بعض المعاني، وإبرازها إلى المتلقي، قوله[٢] في الحديث عن حبه لله : [من البسيط]

شيء تعالى لعمري أن نحددَه ∴ أو أنْ يحيطَ به وصف وأشباه

في الروحِ والقلبِ والإحساسِ موطنهُ ∴ وبالخوالجِ نَرجوه ونخشاه

يكشف الشاعر في هذين البيتين عن شعوره تجاه حبه لله، مستعينًا بالتصوير الكنائي في قوله : « في الروح والقلب والإحساس موطنه» كناية عن أن حبه سيطر على كل جوارحه، وقدم الجار والمجرور « في الروح والقلب » للاهتمام ، وعطف «القلب والإحساس» على الجار والمجرور « في الروح» لتأكيد أن حبه ليس في الروح فقط، بل في القلب والإحساس أيضًا، وجاء بقوله «موطنه» ليؤكد موقفه من هذا العشق .

وقوله [٣] في عشقه لمحبوبته : من البسيط

أذيبَ قلبي دموعاً حين تغضبه ∴ وأترع القلب بشرا حِين ترضاه

وأجعل القلب فيها مجمراً عَبقا ∴ يفوحُ بِالشعرِ إنَّ هَاجت حناياه

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة العلوي ٢١٩/١، المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

(٢) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ٥٦ .

(٣) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ٥٦ .

عندي القريض وفيها الحسن أجمعه ∴ إنَّ القريضَ صَدي منه ومعناه

يتحدث الشاعر عن عشقه لمحبوبته التي جمعت صفات الحسن، وما أصابه من اللوعة والذل والشقاء منها، فهي مصدر إلهامه للشعر، مستعينًا بالتصوير الكنائي في قوله« عندي القريض» كناية عن نظم الشعر، وجاء بقوله « إن القريض صدي... » للتأكيد علي أنها مصدر إلهامه لقول الشعر، استطاع الشاعر من خلال هذه الصورة التعبير عن مشاعره وأحاسيسه، كما يبدو من خلال الأبيات بروز صوته، ولم نر حضورا لمحبوبته، فحب الشاعر حب لم يخرج عن نطاق فردي، وهذا ما يؤكده قوله قبل هذه الأبيات:

إني لأبحث عن ليلي لتشرق لي ∴ فجرا علي القلب يهديه ويرعاه

وفي موضع آخر يقول[١] ، وهو يناجي قلبه عن غياب محبوبته: [من البسيط]

يَا جَمرةَ القلبِ لا تخمدك كارثة ∴ فَأنت عندي نوري بين أدجاني

أين الهوي يَا فؤادي غابَ كوكبه ∴ عنّي وأظلم ليلي بين وجداني؟

نخاف أن تمضي الأيامُ بِي عبثا ∴ أسيرُ فيها كَميتٍ بين أكفان

فالشاعر في هذه الأبيات يناجي قلبه ويشكوه هجر محبوبته مستعينًا بالتصوير الكنائي لإيضاح غرضه في البيت الذي يقول «أين الهوي يا فؤادي غاب كوكبه عني.... » كناية عن غياب محبوبته، واختار لهذه الصورة كلمات تساند نظم الصورة الكنائية، فبدأها بالاستفهام في قوله« أين الهوي... » الذي يفهم منه توبيخ قلبه بسبب المعاناة التي يعانيها من الفراق واللوعة واليأس الذي سيطر

(١) الديوان « في تيه الحياة » ، ص ١١٣ .

عليه، كما أنه يعكس شدة الشوق والحنين والعشق الذي تمكن من قلبه، ثم جاء بالاستعارة في قوله« يا فؤادي... » حيث شبه القلب بإنسان يخاطبه ويشكو له همومه، مستخدماً «يا» للتنبيه علي أهمية ما جاء بعدها، وهو هجر وغياب المحبوب، واختار لمحبوبته« كوكب» للدلالة علي مكانتها العالية والمرتفعة، وجاء بقوله « وأظلم ليلي بين وجداني» لبيان أثر غياب محبوبته عنه، فقد أظلمت لليالي بين وجدانه.

وكذلك قوله[١] عن حالته الفكرية: من البسيط

لا ليسَ فكري وإنَّ طابَت موارده ∴ يوما ليحجبَ عَني شمس وجدانِي

لا ليسَ فكري وإن ضاءت كوكبُهُ ∴ يوما ليمنعَ عَني ورد إيمانِي

يتحدث الشاعر عن شعوره تجاه أفكاره التي لا تمنع عنه ورد إيمانه بالله، ولا تحجب عنه عواطفه الجياشة والمرهفة، فقوله « وإن طابت موارده- وإن ضاءت كوكبه» كناية عن إشراقات وعنان وشطحات أفكاره، وكرر قوله « لا ليس فكري» للتأكيد علي أن أفكاره لن تكون سببًا في منعه عن إيمانه بالله، وحجب شعوره وعواطفه، وكنا عن فكره بلفظ « موارده» مرة، وبلفظ « كوكبه» مرة أخري، لبيان العموم والشمول بأنه مهما كانت الدوافع والاسباب فإن هذه الأفكار لن تستطيع رده عن إيمانه بالله ، وحجب عواطفه المرهفة.

ثانياً: الصورة الكلية

اعتمد الشاعر بجانب الصورة الجزئية، الصورة الكلية، وهي كما وصفها بعض النقاد باللوحة تتألف من صور جزئية تندمج فيها جميع العناصر من تشبيه

(١) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ١١٢ .

واستعارة وكناية...لترسم لنا المشهد الذي أراده الشاعر، إذا الصورة الكلية هي «أشبه بلوحة كبيرة تضم داخلها صورًا صغيرة لا تستقل بنفسها، ولكنها تكون جزئيات هذه اللوحة الكبرى» [١]، وهي موجودة في قصيدة الشاعر بصورة واضحة، والأمثلة علي ذلك كثيرة تبين قدرته في رسمها، ومن ذلك قوله[٢] [من البسيط]

مَا للسراب يناديني ويخدعُني ∴ مَا فيك يَا دهر إرواء لظمأنِ
سَراب دهريَ تغريني موارده ∴ صَدفت عنه عَلي علمٍ وعرفانِ
سَارت إليه جيوش الناس فاشتبكت ∴ سبيلهم فتعادوا أي عدوانِ
كلٌ يعادي أخا فى العيش يحسبُ في ∴ وجوده كل إقصاءِ وخذلان
كلٌ يعادي وكلٌ سائر عجل ∴ وكلهم هَالك في سيرهِ فانِي
كلٌ يقاتل والآمال تخدعُنا ∴ وآخر السعي أن نجزي بحرمانِ
يَا قلبُ فاله كما يلهون واغْد كما ∴ يغدون وانْعم بِأوهامٍ وبهتانِ
واخدعْ حياتَك فالأيامُ تخدعنا ∴ واضحكْ وكن وثنا ما بين أوثانِ
مَاذا يفيدك من شكٍ وفلسفةٍ ∴ ماذا يفيدك من علمٍ وبرهانِ
مَاذا يفيدك من يومٍ تسيرُ بهِ ∴ يحار فكرُك في شكٍ وإيمانِ
مَاذا يفيدك من ليلٍ سَريت بهِ ∴ وأنت تظلعُ من رزءٍ وحرمانِ
إنْ كان آخرنا قبر سيجمعُنا ∴ فالعلمُ والجهلُ في الميزانِ سيانِ

(١) الصورة الفنية في شعر المتنبي د/ صلاح عبد الحافظ، ص١٧٤ ط الأولي دار المعارف.
(٢) الديوان : « في تيه الحياة » ص١١٣

إذا أنعمنا النظر في هذه الأبيات نراها ترسم صورة كلية لحال الشاعر، وما آل إليه من الحزن والسراب والخداع واللهو... الذي مر به الشاعر في حياته، مستعينًا بالصور البلاغية التي توضح فكرته وتقرب المعني في ذهن القارئ كالتشخيص بالاستعارة التي وردت في أبياته كقوله: « ما للسراب يناديني ويخدعني- ما فيك يا دهر- والآمال تخدعنا- يا قلب - فالأيام تخدعنا ... » وهي استعارات تفيد التجسيم والتشخيص لتوضيح الفكرة إلي القارئ والإلحاح علي فكرة الحزن والانكسار والحسرة المسيطرة علي الشاعر، وكذلك الاستفهام الذي ورد في الأبيات وكرره أكثر من مرة« ماذا يفيدك » وهو يفيد التنبيه والاستيقاظ والوقوف مع النفس، وفي الوقت نفسه هو بيان لحقيقة الدنيا الفانية؛ لكي يراجع كل إنسان نفسه، والطباق في قوله «العلم والجهل في الميزان.... » جاء به الشاعر لتوضيح المعني الذي يقصده وتقويته، وصاغ الشاعر قوله « وكلهم هالك في سيره فاني- إن كان آخرنا قبر سيجمعنا» في ثوب الحكمة والنصيحة وتقرير الحقيقة، بأن الإنسان مصيره إلي الزول والفناء، وأن البقاء لله وحده، وفي ذلك تأثر واضح بقول الله تعالي ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [١] وقوله : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [٢] ومما زاد الصورة تعمقًا تلك الكلمات الدالة علي الحركة مثل قوله: « فاشتبكت- سارت- سائر عجل – تسير.... » أما الكلمات الدالة علي الصوت في قوله: « ينادي- واضحك... » واختار من بين أعضاء الجسم «القلب»؛ لأنه مركز الإحساس عند الإنسان، وكذلك الأفعال سواء الماضي أو المضارع كقوله: « يناديني- يخدعني- تغريني- يعادي- تخدعنا-

(١) سورة القصص الآية (٨٨) .

(٢) سورة الرحمن الآيتان (٢٦ ، ٢٧) .

يحار... » التي تدل علي التجدد والاستمرار واستحضار الصورة، والماضي كقوله « سارت- سريت... » التي تفيد الدوام والثبوت، بالإضافة إلي النبرة الخطابية التي ظهرت في ثنايا هذه الأبيات لتذكير غيره بمصيره في الدنيا كقوله: « واخدع حياتك- ماذا يفيدك- سيجمعنا... » فكل هذه الأساليب والعبارات تعاضدت وتآزرت وانسجمت في تأليف الصورة الكلية للكشف عن إبداع الشاعر في وصف حالة الحزن والانكسار المسيطرة عليه، وتوصيلها إلي القارئ، وهذا قليل من كثير من نماذج الصورة الكلية.

من هنا يتضح لنا أن الصورة أحد المكونات الأصيلة في بناء القصيدة، ولابد أن تنسجم مع الفكرة التي يريد توصيلها إلي المتلقي، وليست مجرد شكل يلجأ إليه الشاعر لتزيين قصيدته.

✍ المطلب الرابع :انسجام الموسيقا الخارجية والداخلية في القصيدة

من أبرز السمات التي تميز الشعر عن غيره من الكلام، فهي «عنصر أساسي وجوهري في الشعر، بل أهم عنصر من عناصر الإيحاء فيها، تجعل النفوس أكثر تأثرًا به، واستجابة له ، ولا شك أن الإيقاع هو طريق التعبير الانفعالي»[١] لذا فإن القصيدة إذا افتقدت سحر النغم المنبعث من الوزن ينقطع ذلك الخيط الفني الدقيق الذي يشد المتلقي إلى سماع الشعر، كل ذلك بالإضافة إلى ما للوزن من قيمة تأثيرية بالغة لإبراز موسيقى النص التي لا تنفك بحال عن مضامينه »[٢].

وتنوعت موسيقا القصيدة عند الشاعر بين موسيقا خارجية «الوزن والقافية» وموسيقا داخلية تعتمد توافق الألفاظ وتلاقيها مع بعضها في تلاؤم وانسجام .

أولاً : الموسيقا الخارجية

الوزن والقافية :

وهما من أهم عناصر الشكل الشعري الخارجي، فالشعر بدونهما لا يعد شعرًا، وهما اللذان يميزان الشعر عن غيره، ولذلك نرى بعض نقادنا القدماء يعرفون الشعر بأنه : «الكلام الموزون المقفى »[٣] وقد اعتمد الشاعر في موضعين من

(١) المدخل إلى تحليل النص الأدبي وعلم العروض : مصطفى خليل الكسواني وآخرون ، ص ١٩١ ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان طبعة أولى سنة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

(٢) ينظر : موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور : د/ صابر عبد الدايم ، ص ١٦ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، سنة ١٩٩٤م .

(٣) المقدمة : عبد الرحمن بن خلدون، ج٣ ص ٢٧٢ ، تحقيق / عبد السلام الشدادي ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء ، سنة ٢٠٠٥م .

القصيدة على بحر البسيط[١]، وذلك يرجع إلى أن هذا البحر يمتاز بانبساط أسبابه وتواليها في أوائل أجزائه السباعية ، وانبساط الحركات في عروضه وضربه[٢]، كما أنه بحر راقص يتصف بنغماته العالية، وبتغيير حركي موجي ارتفاعًا وانخفاضًا ، حتى إن إيقاعه يتعلمه بيسر كل من لم يألف العروض، إذا ما نبه إلى وزنه تقطيعا، لأن سهولة موسيقاه الطاغية تقود الأذن إلى دقة تركيبية بمجرد تكرار أبيات مقطعة نغميًا[٣] هذا ولم يلتزم الشاعر في قصيدته بقافية موحدة بل نوع في قافيتها كما هو واضح في الأبيات، ومن نماذج هذا البحر قوله [٤] عن الحب: [من البسيط]

يَا أيّها الحبُّ إنَّ القلبَ ذو شغف ∴ لسحرِ نور بشمس منك فتان

الحبُّ طيرٌ بدنيا الروح صادحةٌ ∴ له جناحان من نورٍ ونيران

لا تحسبوا الحبَ غِلاً وهو مطلقكُم ∴ ولا تظنُّوه إثمًا وهو روحاني

والروحُ في أرضِ دنيانا مقيدة ∴ والحبُّ منطلق من غلٍ جثمان

والروحُ في أرضِ دنيانا مقيدة ∴ والحبُ يسمو بها في عالم ثاني

---

(١) البسيط :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن ∴ مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

(٢) ينظر: العروض القديم أوزان الشعر العربي وقوافيه : د/ محمود علي السمان ، ص ١٠٧ ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٦م .

(٣) ينظر " موسيقى الشعر العربي قديمة وحديثه دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر : عبد الرضا علي ، ص ١٢١ ، دار الشروق ، طبعة أولى ، سنة ١٩٩٧م .

(٤) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ١١٠ .

ليسَ التآلف في نفسين منقصة ∴ وإنَّما النقص في بغض وخذلان

يتحدث الشاعر عن الحب في هذه الحياة، وأنه من أجمل المشاعر الإنسانية على الاطلاق ، فهو كالطير له جناحان يأخذ القلب في رحلة من السعادة والسرور في نفس الوقت أخذ الحذر والحيطة، فالحب يأخذك إلى عالم ثان ... وقد ساعده على إبراز ذلك بحر البسيط الذي يتسم بانبساط أسبابه، وانبساط الحركات في عروضه وضربه، كما أن نغم البسيط ساعد على انتقاء الألفاظ القوية والجزلة والمنسجمة مع غرض الشاعر في بيان الهدف من الحب كقوله « ذو شغف – سحر – فتا – صادحة – غلا – إثما – التآلف – منقصة – خذلان ....» كما كان الشاعر حريصًا على تقديم أكثر من مؤكد على أن الحب أسمى ما في الوجود كقوله: « الحب طير – لا تحسبوا الحب غلا – لا تظنوه إثمًا – الحب منطلق من غل – الحب يسمو بها في عالم ثان » وكذلك يتشكل الإيقاع الموسيقي في الأبيات في اختيار الشاعر لحرف «النون المكسورة » ليكون رويًا ، والنون بغنته يشعرنا بالحالة التي يعبر فيها الشاعر عن الحب وأهميته في الحياة، والمعروف عنه أنه حرف يخرج من طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة » [١].

وكذلك قوله[٢]: وهو يبين قلقه من هذه الحياة. [من البسيط]

جلَّ الفؤادُ بهذي الأرضِ مثواه ∴ إذ لا فؤاد بهذا الخلق يرعاه

ومل عيشًا رتيبًا كالفناءِ غدا ∴ لا شيء فيه يُرجيه ويَخشاه

(١) ينظر: دراسات في النص الشعري في العصر العباسي : د / عبده بدوي ، ص ١٩٩ ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، سنة ١٩٧٧م .

(٢) الديوان « في تيه الحياة » ، ص ٥٣ .

قَد كانَ فيه لبانات تؤرقهُ ∴ ذوات فما ثم إلا الفقر يَغشاه

قَد كانَ دنيا من الآمالِ يعمرُها ∴ فصارَ كالقبرِ والآمالِ موتاه

ساعد بحر البسيط الشاعر في التعبير عن حالة القلق والتخبط الذي سيطرت علي قلبه وتملكت من نفسه، حتي أصبحت حياته جامدة لا جديد فيها، وبعد أن كانت حياته مليئة بالآمال صارت كالقبر ... ، كما ساعده علي اختيار الألفاظ التي تلائم عروضه وضربه، مع قافية الهاء، وهو حرف ضعيف ناسب حالة الضعف والحزن المسيطرة علي الشاعر للتنفيس وتفريغ ما في نفسه من هم وحزن دفين، وجاء بالألف قبل حرف الروي لمد الصوت وبسطه.

واعتمد في الموضع الثالث [١]علي بحر المنسرح[٢]، وهي أبيات فيها بث الأمل في الحياة :

إنْ لفك التيه في مجاهلِهِ ∴ وضلل السمع منَّك والبصرا

فامْلأ من الحبِ قفره زهرا ∴ وامْلأ منْ الحقِ جدبه ثمرا

واجْعله بِالحبِ مزهرًا غردا ∴ واجْعله بالحقِ مُثمرًا نضرا

هُما دليلا الكمال من قدمٍ ∴ ولبه الخالد الذي اسْتترا

هذه الأبيات هي نهاية القصيدة التي تحدث فيها عن أحزانه التي مر بها في حياته، يبث فيها الأمل في الحياة والتخلي عن الأوهام، والأحزان، ومجاهل الحياة، والتحلي بالحب والحق، فهما دليل الكمال من قديم الزمان ولبه الخالد، وقد ساعده

(١) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ١١٦ .

(٢) المنسرح: مستفعلن مفعولات مستفعلن ∴ مستفعلن مفعولات مستفعلن

بحر المنسرح علي تحقيق مراده، واختيار الألفاظ التي تلائم عروضه وضربه، مع قافية الراء وهو صوت ذلقي شبيه بأصوات اللين، متوسط بين الشدة والرخاوة، مكرر؛ لأن طرف اللسان حين ينطق به يحدث طرقًا لينًا مرة أو مرتين[١]

ثانيا: موسيقا النص الداخلية :

يتضمن الشعر فضلًا عن الوزن والقافية ألوانًا من موسيقا الشعر الداخلية التي أضفت على النصوص مزيدًا من الإيقاع المتناغم الذي يسري في النص الشعري بسبب ما يحدثه من تناغم داخلي دقيق ينبع من خلال اختيار الشاعر لكلماته وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات، ومن علاقات اللغة وأصواتها ونبراتها دونما تحمله تلك الأصوات والنبرات من المشاعر [٢] ، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر [٣] عن الحق والحب وأهميتهما في حياته : **[من البسيط]**

الحقُّ يجلو لنا الدنيا فنبصرها ∴ كَالنورِ في الليلِ يجلو منه أخفاه

الحقُّ ينشدُهُ فكري ويعشقُهُ ∴ والحبُّ يطلبُهُ قلبي ويهواه

الحقُّ يجلو لنا الدنيا بمشعلِهِ ∴ والحبُّ ينفثُ فيها السحر رباه

إنَّ الغرامَ يُرينا الكون منتشيًا ∴ كَأنَّما السحبُ الغراء مسراه

---

(١) ينظر : دراسات في النص الشعري العصر العباسي : د / عبده بدوي ص ١٠٧ – مكتبة الشباب – القاهرة ١٩٧٧م .

(٢) ينظر: عناصر الإبداع الفني في رائية أبي فراس : د / محمد عارف محمود حسين ، ص ٢٠٢ ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، طبعة أولى ، سنة ١٩٨٨م ، وينظر : قضايا النقد الأدبي والبلاغة : د / أحمد ذكي العشماوي ، ص ٤٧ ، دار الكتاب العربي ، القاهرة، سنة ١٩٦٧م.

(٣) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ٥٧ .

كأنَّه منْ عبير الزّهر نفحتُهُ ∴ كأنَّه من بهيجِ النور مرآه

الحقُّ والحبُّ ديني أجتلي بِهما ∴ وجه الحياة وأجلو منْ خَفاياه

في هذه الأبيات يتحدث الشاعر عن الحب والحق وأهميتهما في هذه الحياة ، فنلحظ أن الموسيقا الداخلية لها أثر كبير في الإيقاع المتناغم الذي يسري في النص من خلال اختيار الشاعر لتكرار بعض الكلمات مثل قوله : «الحق يجلو – الحب – الدنيا – يجلو » فكان لهذا التكرار دور في تكثيف الموسيقا الداخلية، وبروز الإيقاع ونموه في النص ، حيث يدل على تصاعد مجموعة من الانفعالات النفسية عند الشاعر يحاول أن يترجمها من خلال هذا التكرار الصوتي الذي يتحول بدوره إلى دلالة خاصة [١] ، ويلعب تكرار بعض الحروف دورًا عظيمًا في الموسيقا اللفظية ، فقد كرر الشاعر حرف «الكاف والقاف والنون» في أكثر من كلمة كما هو واضح في الأبيات ، وهما من الحروف ذات النغمة القوية المجلجلة التي تقرع الآذان، وتحدث صوتًا صاخبًا عند خروجهما ، ومن الحروف المهموسة «السين» وقد أدى تكرار هذه الأصوات «المجهورة والمهموسة» إلى الانسجام وتكثيف الإيقاع الموسيقي داخل النص، كما أن لحروف «المد» أثرها في النص إذ تتوفر له مساحة صوتية لا تتوفر لغيرها من الحروف في نقل المشاعر والأحاسيس للمتلقي، فالمد داخل الأبيات ونهايتها لـ « يجلو – لنا – الدنيا – أخفاه – يهواه – يرينا – مسراه » وكذلك التشديد فهو من أقوى المؤثرات في الإيقاع الموسيقي في النص «الحقُّ – الحبُّ – إنَّ – كأنَّه – الزَّهر » فقد ساعد في نقل مشاعر وأحاسيس الشاعر، وعملت أيضًا على إيضاح المعنى وتثبيته في ذهن المتلقي ، والجناس أيضًا من

(١) ينظر : الخطاب الشعري عند محمد عفيفي مصر : د/ عبد السلام حسن سلام ، ص ١٢١ ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٩٥م .

الحلى اللفظية التي لها تأثير موسيقي بليغ يجذب السامع إليه ، فقد جانس الشاعر بين قوله «الغرام – الغراء» في قوله :

إنَّ الغرامَ يرينا الكون منتشيًا ∴ كأنَّما السحبُ الغراء مسراه

فالشاعر أراد من هذا البيت تشبيه الغرام وانتشاره في هذا الكون بالسحب الواضحة والمنتشرة في السماء ، ووجه الشبه الوضوح في كل، وقد ساعده الجناس على بيان مقصوده، وكذلك قوله عن الحب والحق :

الحقُّ ينشدُهُ فكري ويعشقُهُ ∴ والحبُّ يطلبُهُ قلبي ويهواه

الشاعر هنا أراد بيان أهمية الحق والحب في حياته، وساعده الجناس على ذلك، وكذلك السجع وترجع أهميته أنه يؤثر في النفوس تأثير السحر لما يحدثه من النغمة المؤثرة والموسيقا القوية مثل قوله :

الحقُّ يجلو لنا الدنيا بمشعلِهِ ∴ والحبُّ ينفثُ فيها السحر رباه

وكذلك رد الإعجاز على الصدور [١] وترجع أهميته إلى الدلالة والتقرير مثل قوله :

إنَّ الغرامَ يرينا الكون منتشيًا ∴ كأنَّما السحبُ الغراء مسراه

كَأنَّه من عبيرِ الزهر نفحتُهُ ∴ كَأنَّه من بهيجِ النور مرآه

ذكر الشاعر أداة التشبيه « كأنه» في أول الشطرة الأولى وأول الشطرة الثانية لشدة حرصه على تأكيد أهمية الغرام مما جعله يشبه بأكثر من تشبيه كل ذلك من أجل التقرير والتأكيد .

(١) هو أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو في حشوه أو في آخره أو في صدر المصراع الثاني» علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع : د / بسيوني عبد الفتاح فيود ص ٣١١ – دار المعالم الثقافية – الأحساء للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م

وكذلك قول الشاعر [١] وهو يعبر عن حاله، وأنه ضحية الوقوع في ظلمات الحياة ، [من البسيط] :

لمْ أستفق من مسراتِي وأشجانِي ∴ إلا على ظلمات التيه تغشاني

ومَا تصرَّم لحنُ العمرِ من أُذني ∴ فكيفَ أبعدت عَن عودِي وألحانِي

قَدْ كان بين ضلوعي خافقٌ غرد ∴ مشتتٌ بين أفراحِي وأحزانِي

يَهوى الجمالَ ويحيا في خمائلِهِ ∴ ويعشقُ الحبَ في سرٍ وإعلانِ

فَأصبحَ الآن بين التيهِ منفردًا ∴ مشردًا بَين آكامٍ ووديانِ

إذا تلفت حولي لا أرى أحدًا ∴ وحولي الصحب مِنْ أهلي وأخداني

كأنَّني ميتٌ في القبرِ ليس بهِ ∴ إلا بقية أفكار وأشجان

وسرَّتُ في التيهِ لا أهفو إلى أحدٍ ∴ كخاطرٍ في فيافِي الفكر حيران

كَفكرةٍ في سوادِ القلب جَائلةٌ ∴ لا تَستقرُ عَلى شكٍ وإيمانِ

فالشاعر في هذا النص يعبر عن حالة الحزن المسيطرة عليه ، والتي جعلته ضحية للوقوع في ظلمات الحياة ، فكانت الموسيقا الداخلية مادة حية للتعبير عن مشاعره، سواء المحسنات اللفظية كالطباق في قوله « أحزاني – أفراحي – في سر وإعلان – مسراتي وأشجاني ... » ولذلك فإن بلاغته لا تكمن في مجرد الجمع بين المعاني المتقابلة، والألفاظ المتضادة ، فهذه حيلة شكلية وزخرفة لفظية

(١) الديوان : « في تيه الحياة » ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

لا تقاس بها جودة الأسلوب، ولا تقدر بها قيمته إنما ترجع بلاغته إلي ما يحققه من إيضاح المعنى من إظهاره وتأكيده وتقويته عن طريق المقارنة بين الضدين وتصور أحد الضدين فيه تصور للآخر (١).

وكذلك السجع وما يحدثه من نغمة مؤثرة تطرب لها الآذان ، وتقر في الوجدان كقوله :

لَمْ أستفقْ مِنْ مسراتِي وأشجاني ∴ إلا على ظلمات التيه تغشانِي

ومَا تصرَّم لحن العمر من أُذني ∴ فكيفَ أبعدت عَن عودِي وألحانِي

ولا يخفى ما في الأبيات من الالتزام « لزوم ما لا يلزم » فقد التزم فيها بحرف الألف قبل حرف الروى وهو «النون» فقد أعطى القصيدة طابعًا خاصًا بهذا الالتزام .

وكذلك لا يخفى ما في الأبيات من التشديد وما يحدثه من أثر تناغمي كقوله :«الحبَّ – تصرَّم – مسرَّاتي – .... » وكذلك الممدود في قوله : « أشجاني – ظلمات – آكام – أفكار – ووديان ... » والتنوين .... كل ذلك كان له أثر ودور في إثراء النص بالموسيقا الداخلية ، ولفت الانتباه إلى المعاني التي قصدها الشاعر .

هكذا الموسيقا عنصر أساس في النص الشعري، بل هي التي تفرق الشعر عن النثر، ووسيلة من أقوي الوسائل في الإيحاء لإبراز النص، وتوافق الألفاظ وتلاقيها مع بعضها في تلاؤم وانسجام.

(١) ينظر : دراسات منهجية في علم البديع : د / الشحات محمد أبو ستيت ، ص ٥١،٥٠ ، دار خفاجي ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، كريم العطاء ، واسع الفيض ، كثير الفتح ، والصلاة والسلام على سيد الخلق ، وإمام المرسلين ، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين ..... وبعد :

فقد يَسَّرَ الله -ﷻ- إتمام هذه الدراسة ، وهي تحت عنوان « الانسجام النصي في قصيدة « في تيه الحياة» لمحمد قرنه المُتوفَى ١٩٧٩ م » ، وقد أسفرت هذه الدراسة بفضل الله – تعالى – عن النتائج الآتية :

أولا: أثبتت الدراسة أن النص الشعري عبارة عن فكرة متكاملة متماسكة متلاحمة الفقرات، تظهر في بنية متسقة تقوم على نظام داخلي متين يربط أجزاء النص بمقاطعه.

ثانياً: أثبتت الدراسة أن النص لابد له من تحقيق مجموعة من الخصائص أو الشروط التي تميز النص عن اللا نص، ومنها ما هو مرتبط بالنص كالاتساق، والانسجام، ومنها ما هو مرتبط بالمؤلف والمتلقي مثل القصدية والإعلامية، ومنها مرتبط بالسياق الخارجي كالموقفية، والتناص .

ثالثاً: أثبتت الدراسة أن الانسجام يهتم بالعلاقات الداخلية الموجودة بين أجزاء النص كالسياق والوصل والتكرار...بخلاف غيره من المعايير كالاتساق.....، كما أنه أعم من الاتساق.

رابعاً: أثبتت الدراسة مكانة الشاعر محمد قرنه من خلال دراسة قصيدته في تيه الحياه، وأنه لا يقل عن غيره من الشعراء علي الرغم من الظروف الحياتية التي تعرض لها، فبين مشاعر الحزن والقلق والحيرة التي مر بها.

خامساً: ظهر من خلال الدراسة تعدد آليات الانسجام عند الشاعر محمد قرنه في قصيدته مثل العنوان، والسياق، والوصل، والحذف..... ليخرجها في صورة متماسكة ومنسجمة .

سادساً: أثبتت الدراسة توافق الألفاظ والكلمات وتلاقيهما معا في تلاؤم وانسجام إلي حد كبير، ظهر ذلك من خلال سهولة الألفاظ، ودقتها التي اختارها إلي تأدية غرضه وهدفه الذي يرجوه .

سابعاً: ظهر من خلال الدراسة أن الصور الجزئية، والكلية التي استعان بها الشاعر تنسجم مع فكرته التي أراد توصيلها إلي المتلقي.

ثامناً: أثبتت الدراسة اعتماد الشاعر في قصيدته علي بحر البسيط في أكبر موضعين من القصيدة وذلك لانبساط أسبابه وتواليها أوائل أجزائه السباعية، وانبساط الحركات في عروضه وضربه، كما اعتمد علي بحر المنسرح في الموضع الثالث، وهو عبارة عن أربعة أبيات تبث الأمل في الحياة.

تاسعاً: كشفت الدراسة أن الموسيقا الداخلية التي تنبع من خلال اختيار الشاعر لكلماته وما بينهما من تلاؤم وانسجام في الحروف والكلمات، وبعض الظواهر كالجناس، والطباق، والتكرار..... وغيرهما .

عاشرًا: توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بدراسة الجوانب الأدبية الأخرى عند الشاعر محمد قرنه، فشعره غني ببعض الجوانب الأدبية الحقيقية التي تضيف إضافة جديدة في مجال البحث العلمي، مثل التناص، والجانب الاجتماعي، والبنيوية.....

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

✍ المصادر والمراجع

القرآن الكريم: جلَّ من أنزله .

[١] اتجاهات النقد الأدبي : د/ محمد السعدي فرهود ، ، طبعة سنة ١٩٧١م

[٢] الأسلوب : أحمد الشايب ، طبعة المكتبة الفاروقية ، الإسكندرية .

[٣] الأسلوبية ونظرية النص إبراهيم خليل ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، سنة ١٩٩٧م .

[٤] البلاغة العربية أسسها وعلومها، وفنونهاعبدالرحمن حسن حَبَنَّكَة الميداني(ت ١٤٢٥هـ) دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

[٥] بناء الجملة العربية محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ٢٠٠٣م .

[٦] التفاعل النصي – التناصية النظرية والمنهج : نهلة فيصل الأحمد ، الطبعة الأولى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة سنة ٢٠١٠م .

[٧] التفسير الكبير للرازي– الطبعة الأولى – دار الكتب العلمية بيروت – ١٤١١هـ ١٩٩٠م

[٨] جماليات القصيدة المعاصرة : د/ طه وادي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٩٤م .

[٩] الخطاب الشعري عند محمد عفيفي مصر : د/ عبد السلام حسن سلام ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٩٥م .

[١٠] دراسات في النص الشعري العصر العباسي د عبده بدوي، مكتبة الشباب،القاهرة ١٩٧٧م

[١١] دراسات في النص الشعري في العصر العباسي : د / عبده بدوي ، مكتبة

الشباب ، القاهرة ، سنة ١٩٧٧م .

[١٢] دراسات في النص والتناصية : محمد خير البقاعي ، مركز الاتحاد الحضاري، حلب ، طبعة أولى سنة ١٩٩٨م .

[١٣] دراسات لغوية تطبيقية في العلاقات بين الدلالة : سعيد بحيري ، مكتبة زهراء الشرق ١٩٩٩م .

[١٤] دراسات منهجية في علم البديع : د / الشحات محمد أبو ستيت ، دار خفاجي ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

[١٥] رسائل الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الشهير بالجاحظ ، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

[١٦] السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة : علي آيت أوشان، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

[١٧] صحيح مسلم صحيح مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

[١٨] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : جابر عصفور مطبعة المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٩٢م .

[١٩] الصورة الفنية في شعر المتنبي د/ صلاح عبد الحافظ، ط الأولي دار المعارف

[٢٠] الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة العلوي ، المكتبة العنصرية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

[٢١] العروض القديم أوزان الشعر العربي وقوافيه : د/ محمود علي السمان ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٦م .

[٢٢] علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: د/

بسيوني عبد الفتاح فيود – دار المعالم الثقافية – الأحساء للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

[٢٣] علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : د / سعيد حسن بحيري ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، لونجمان ، ط أولى سنة ١٩٩٧م .

[٢٤] علوم البلاغة البيان المعاني البديع تأليف أحمد مصطفي المراغي– دار الكتب العلمية بيروت– لبنان–الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ١٩٩٣م

[٢٥] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : لابن رشيق تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الجيل ، الطبعة الخامسة . سنة ١٩٨١م.

[٢٦] عن بناء القصيدة العربية الحديثة : علي عشري زايد ، مكتبة ابن سينا – الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

[٢٧] عناصر الإبداع الفني في رائية أبي فراس : د / محمد عارف محمود حسين ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، طبعة أولى ، سنة ١٩٨٨م

[٢٨] العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي : محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٨م .

[٢٩] الفن الأدبي : د/ غازي يموت ، دار الحداثة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م .

[٣٠] في تيه الحياة للشاعر محمد قرنه ، جمع ودراسة د/ علي الخطيب ، دار التضامن سنة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٥م .

[٣١] قضايا النقد الأدبي والبلاغة : د / أحمد ذكي العشماوي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة، سنة ١٩٦٧م .

[٣٢] لسان العرب لابن منظور(ت ٧١١هـ)الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة:

الثالثة – ١٤١٤ هـ

[٣٣] لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م.

[٣٤] المدخل إلى تحليل النص الأدبي وعلم العروض: مصطفى خليل الكسواني وآخرون ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ط١سنة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م

[٣٥] مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه – محمد الأخضر الصبيحي ، الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف .

[٣٦] مستويات البناء الشعري عند محمد إبراهيم أبو سنة – دراسة في بلاغة النص : د/ شكري عبد المجيد أحمد الطواسي ، سنة ١٩٩٥م .

[٣٧] المعجم الأدبي جبور عبد النور دار العلم للملايين بيروت – لبنان ط١ سنة ١٩٧٩.

[٣٨] معجم ديوان الأدب : للفارابي ، تحقيق د/ أحمد مختار عمر ، طبعة دار الشعب بالقاهرة سنة ٢٠٠٣م .

[٣٩] المقدمة : عبد الرحمن بن خلدون ، تحقيق / عبد السلام الشدادي ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء ، سنة ٢٠٠٥م .

[٤٠] موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور : د/ صابر عبد الدايم ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، سنة ١٩٩٤م .

[٤١] موسيقى الشعر العربي قديمة وحديثه دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر: عبد الرضا علي، دار الشروق، طبعة أولى ، سنة ١٩٩٧م .

[٤٢] نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : أحمد عفيفي ، مكتبة زهراء

الشرق ٢٠٠١م.

[٤٣] نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى : د / عمر أبو خرمة ، عالم الكتب الحديث – أربد الأردن ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

[٤٤] النص الشعري وآليات القراءة : د/ فوزي عيسى ، دار المعرفة الجامعية ، سنة ٢٠٠٦م.

[٤٥] النقد الأدبي الحديث : د/ محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، أكتوبر١٩٩٧م .

[٤٦] نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان- بدون تاريخ .

[٤٧] النقد والحداثة : عبد السلام المسدّي ، ، بيروت ، دار الطليعة سنة ١٩٨٣م .

[٤٨] الوساطة بين المتنبي وخصومه: للقاضي الجرجاني ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بدون تاريخ .